حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com
دورية تصدر كل شهرين
السنة الثالثة عشرة / (مايو - يونيو) ٢٠١٨
66
Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | May - June 2018

دورة الزمان

هـذا خريـفٌ راحـلُ ... ما جاء عندكَ زائلُ
فنـهارُ يـومكَ بعـده ... ليـلٌ وفيه تكامـلُ
يتـلـو الشـتاءَ ربيـعُه ... والعمرُ دومًا مائلُ
فَاهْدأْ ولا تقلقْ؛ فتلكَ ... لدى الإله مراحـلُ

***

٢ الأمل
فتح الله كولن

٢٧ الإدمان الإلكتروني
أ.د. شريف علي تاكالان

٤٤ دولة جسم الإنسان
د. محمد السقا عيد

رمضان الأمل

الحياة مليئة بتحديات شتى، فردية واجتماعية وسياسية واقتصادية وحضارية. والإنسان مُطالَب بمواجهة هذه التحديات لكي يواصل مسيرته على هذا الكوكب. ما أكثر المثبطات التي تعترض سبيل الإنسان وهو يحاول تجاوز تلك التحديات، وإن الأمل في تخطيها، لهو الخيط الوحيد الذي يتشبث به لكي يمضي نحو المستقبل. إن الأمل يمنح الإنسان طاقة للثبات والمضي مهما اشتدت العواصف وادلهمّت الأجواء.

بهذه المشاعر يفتتح الأستاذ فتح الله كولن هذا العدد من مجلة حراء؛ برسالة "الأمل". إن منبع الأمل هو الإيمان، ومن فقد إيمانه فقد أمله، "أمل المرء بقدر إيمانه". وإذا ما عشعش اليأس في القلب امتص شعلة حياته وقضى عليه بالبوار، "والذين غُلِبوا في عالم الأمل سيُغلَبون في واقع حياتهم".

أما الدكتور ناصر أحمد سنه فيحدِّثنا عن أسرار الصوت، وينطلق بنا في أنواعه وطرق تشكله ومراتبه في مقاله "فيزياء الصوت والصيحة". يوسف المتوكل من المغرب يذكّرنا بفضيلة منسية، ألا وهي قيمة العفو العام، ما معنى العفو العام؟ وكيف تم تطبيقه في التاريخ؟ وما هو الحال اليوم؟ صحيح أننا نعيش أعيادًا عديدة، لكن ما هو العيد الذي تصبو إليه كل روح؟ صالح القاضي بأسلوبه الماتع يفتح لنا نافذة إلى الأعياد المنشودة.

حراء تشبه الحديقة الغناء في تنوع مقالاتها وانتشارها على صفحات المجلة، فها هو الدكتور محمد البويسفي يحلق بنا في موضوع يمس كافة سكان الكرة الأرضية؛ موضوع البيئة، فهل تَطرّق القرآن إلى قضايا البيئة يا ترى؟ وهل ذكر الحبيب المصطفى ﷺ أمورًا تتعلق بهذا الموضوع الهام؟ الإجابة في مقال "قيم البيئة في القرآن والسنة".

في باب التربية يتحفنا عالمنا الكبير بركات محمد مراد بمقال حول التربية، كيف يمكن أن نؤسس تربية متوازنة ونمنح أطفالنا وفلذات أكبادنا شخصية سوية؟ وفي موضوع هام آخر يسلط الدكتور محمد الدرداري الضوء إلى "الاستخلاف في المال" وكيف يساعد ذلك على حل كثير من المشاكل الاجتماعية.

في هذا العدد تقابلنا حراء بمفاجأة، وهي ترجمة أول مقال كتبه الأستاذ كولن في حياته، وصدّره أول عدد من مجلة سيزنتي التركية التي استمرت زهاء ٣٦ عامًا: "من أجل أن نكفكف دموعك يا صغيري"، مقال يعود إلى عام ١٩٧٩، ضمّنه فيه آهاته ودموعه من أجل الأجيال التي ضاعت في حقبة من الزمن بسبب الإهمال.

يُهلّ هذا العدد من حراء مع قدوم شهر رمضان الفضيل ضيفًا عزيزًا على قلوبنا، ومن ثم احتوت صفحات المجلة على مقالات تمس شغاف القلب وتعبر عن فرحة الروح بالشهر المبارك لم يسعنا المجال لذكرها.

يبقى -في الأخير- أن نهنئ قراءنا الكرام بإطلالة رمضان المشرقة، وننتهز فرصة قدومه حتى ندعو لبعضنا البعض وندعو لأمتنا الجريحة، لكي تخرج من أزماتها المعقدة، فيكون شهر البركات بابًا ينبض بالأمل نحو مستقبل ملؤه المحبة والوئام والسلام. ■

المحتويات

الأمل / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
الحَذَر / حراء (ألوان وظلال)	٤
فيزياء الصوت والصيحة / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٥
العفو العام فضيلة منسية / يوسف المتوكل (قضايا فكرية)	٨
العيد المأمول / صالح القاضي (أدب)	١١
التآخي / حراء (ألوان وظلال)	١٢
النية وأثرها في العمل التطوعي / مصطفى بوهبوه (قضايا فكرية)	١٣
قيم البيئة في القرآن والسنة / د. محمد البويسفي (قضايا فكرية)	١٥
التربية المتوازنة وتكوين شخصية الطفل السوي / أ.د. محمد بركات مراد (تربية)	١٩
آداب الترويح وضوابطه / د. علي ساموه (قضايا فكرية)	٢٣
مبدأ الاستخلاف في المال وأثره في حل المشاكل الاجتماعية / د. محمد الدرداري (قضايا فكرية)	٢٦
هل نعرف الله؟ / صفاء عزمون (أدب)	٣٠
من أجل أن نكفكف دموعك يا صغيري / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
الخصائص الجمالية للقانون الأخلاقي / عيسى بن بها (قضايا فكرية)	٣٤
الإدمان الإلكتروني بين السلب والإيجاب / أ.د. شريف علي تاكالان (علوم)	٣٧
أقواس القدم / د. صهباء بندق (علوم)	٤٠
دولة جسم الإنسان / د. محمد السقا عيد (علوم)	٤٤
النقش / نور الدين صواش (أدب)	٤٨
شهر التحرر من رق الذات / د. عبد الإله بن مصباح (قضايا فكرية)	٥١
وجوه الأمل / حراء (ألوان وظلال)	٥٣
مدارس الخدمة وإسهاماتها في تحقيق السلام العالمي / د. زكي ساريتوبراك (قضايا فكرية)	٥٤
مداعبات في طريق الإبداع / محمد حجاج (أدب)	٥٩
لحظات مكثفة / السنوسي محمد السنوسي (أدب)	٦١
لا تحزني وتبسمي / العربي السيد عمران (شعر)	٦٣

الأمل

إننا على مَشارفِ تحولات كبيرة وخطيرة، فالمجتمع لا يزال يتلوى من مخاض إلى آخر، ويوشك أن يَلِد أمورًا جديدة.. وقد انحرفت حشود البشر عن مسارهم الصحيح على مدى أعوام جراء وقوعهم في ألف تناقض وتناقض، ولذلك فَهُم في منتهى اليأس والقنوط حول المستقبل.. كما أن القلوبَ منهكة، والأذهان فقيرة، والإلهامات رديئة.

إن الجموع التي تزعزعت عوالمُها الروحية إلى هذا الحد، وصار مستقبلُها يعجّ بالفوضى، وبلغتْ قلوبها الحناجر، قد أصبحت تبحث عما يقوّي رُكَبها ويربط جأشها.. فأهم المواضيع الحياتية بالنسبة للمجتمع هو أن يرى حواريَّه الذي يرجو منه الحياة والسعادة، ماثلاً أمامه وحاملاً معه رسالة الإيمان والأمل.

علينا أن نعلم قبل كل شيء أن الأمل مرهون بالإيمان، فالإنسان المؤمن هو الذي يتحلى بالأمل، ومقدارُ ما يتحلّى به المرءُ من الأمل إنما يكون بمقدار إيمانه. ومِن هذا المنطلق نرى أن أمورًا ناتجة عن الإيمان، يظنها البعض من الخوارق، والحال أنه إذا اتّحدَ الأملُ والعزم والتصميم مع قلب مليءٍ بالإيمان، فعند ذلك تُتخّطى حدودُ الأعراف البشرية، فيَظُن الذين لا يتمتعون بهذا المستوى من الحياة القلبية، أن ذلك من خوارق العادات.

وبالأخص إذا كان الإنسان قد أحسن اختيارَ الأمر الذي يؤمن به، وتَعلَّق قلبه بذلك الأمر، فلا مجال حينئذ للحديث عن اليأس والقنوط والتشاؤم في عالمه الروحي.

وإدراك المرءِ لآفاق وجوده إنما يكون بقدر ما يتحلّى به من الأمل، وبه يحيا المجتمعُ ويَدخل مرحلةَ التطور والنمو.. ومن هذا المنطلق فإن الفرد الفاقد لأمله لا يُعتبَر موجودًا، كما أن المجتمع المحروم من الأمل يكون مشلولاً عاجزًا.

إن الأمل عبارة عن اكتشاف الإنسان لروحه، وأن يكون حدسُه كاشفًا لما في روحه من القوة والقدرة الكامنة، وبهذا الحدس يُؤسِّس علاقةً روحية مع صاحب القدرة المطلقة، فيحرز بذلك قوةً تكفي لكل شيء، وبفضل ذلك تتحول الذرة إلى شمس، والقطرةُ إلى بحر، والجزءُ إلى كل، والروحُ إلى نفَس للكائنات.

لقد انتفض النبي آدم عليه السلام بالأمل عندما لبّدَت سماؤُه وعسعسَ ليلُه وانكسرت عزيمته وبلغ قلبه حنجرته فقال: "إنني ظلمت نفسي"، و"إننا ظلمنا أنفسنا"، فاستمسك بعروة الحياة الوثقى مجدَّدًا، وأما الشيطان فقد تخبَّطَ في ما أساله قلبه من قيح اليأس وصديده، فغرِق في نهاية المطاف.

لقد خرج كل واحد من رجال القلب إلى الطريق حاملاً بيده مشعلَ الأمل، وبه تصدى للطوفان وتحدَّى العواصفَ وصارع الأمواج، فتحوَّل الأملُ لدى بعضهم إلى برعم "الجودي"، وعند بعضهم إلى جِنان "إرم"، وعند بعضهم إلى "يثرب" التي صارت "المدينة".. وفي هذا الوادي أصبح كل واحد من أبطال الأمل عزيزًا لدى الحقّ، عَلَمًا بين الخلق.

إن الأمل عبارة عن اكتشاف الإنسان لروحه، وأن يكون حدسُه كاشفًا لما في روحه من القوة والقدرة الكامنة، وبهذا الحدس يُؤسِّس علاقةً روحية مع صاحب القدرة المطلقة، فيحرز بذلك قوةً تكفي لكل شيء.

لقد فاض عبدٌ أمازيغي بمشاعر الأمل والعزيمة فأضاف إلى أعمدةِ بُرج هرقل شهرةً جديدةً وأصبح بَطَلاً أسطوريًّا لبلادِ ما وراء البحار، كما أن سلطانًا شابًّا صار بالأمل "صاعقة" وغيَّرَ مسار الأدوار التاريخية ونال مراتب عالية لا ينالها إلا قليلٌ من الناس.

وهناك حالات ينتهي فيها كل شيء، وينقصم ظَهرُ الأمة، وتنكسر عزتُها ويُمرَّغ أنفُها بالتراب، فإذا بالإيمان والأمل يمارسان دورًا أسطوريًّا؛ فمن أخذ منهما بحظٍّ وافرٍ يستطيعُ أن يتحدى كل الكائنات بحسب درجة إيمانه، فلو دَمَّر الخصومُ نظامه خمسين ألف مرة فسيواصل طريقه من دون تزعزع واضطراب، وستتجلى فيه ملامح الوجود حتى في حالات العدم، ويبثّ الروح في الأرواح الميتة.

بالأمل يستطيع المرء أن يقطع مسافات بعيدة، وبه يتمكن من عبور بحار الدم، ولا يمكن التوصل إلى السعادة والنظام إلا بالأمل، والذين غُلبوا في عالَم الأمل سيُغلبون في واقع حياتهم أيضًا. فكم من أناس خرجوا إلى الساحة ببسالة وزهوٍ وتبختُرٍ، ولكنْ تعثرت أقدامهم على الطريق بسبب ضعف إيمانهم وآمالهم؛ فما إن يأتي زلزال صغير أو عاصفة مؤقتة أو فيضان عابر، إلا ويأخذ بعزيمتهم وإرادتهم ويجرفها معه، وأما الذين ربطوا آمالهم بهؤلاء ثم وقعوا معهم في مستنقع اليأس وغرقوا فيه، فهم في حال يُرثى لها بكل المقاييس.

والواقع أنه إذا لم يجد الإنسان الحقيقةَ ولم يعشقها قلبه، فليس من الممكن أن يلاقي غيرَ هذا الوضع المخزي؛ فالذين ربطوا آمالهم بالكراسي والمناصب،

hiragate.com

وتعلقت قلوبهم بالثروة والأموال، وأتلفوا أوقاتهم بالأمور المؤقتة العابرة والمنهدمة الزائلة، فلا محالة أنهم سيتعرضون للإحباط عاجلاً أو آجلاً.

وأما الأرواح التي تعشق من الألوان ما لا يبهت ومن الأنوارِ ما لا ينطفئ، فإن ليلها مشرقٌ مثل فلق الصبح، ونهارها زاهٍ بالألوان مثل رياض الجنان.. فآفاق هؤلاء لا تعرف الظلمات، وتتجول فيها الشموس واحدة تلو الأخرى، وتتعاقب عليهم الفصول وكأنها مَعارض لمناظرَ خلابةٍ تسحر العيون.

إن كُلاًّ مِن هؤلاء، مثل شجرة عملاقة ضَربتْ بجذورها في أعماق الأرض وفروعُها في السماء، لا يؤثّر فيهم شدة الثلج والبرَد ولا تدميرُ العواصف والأعاصير. فهذه القلوب المتعلقة بالأبدية والفيَّاضة بالأمل لا تُفرّق بين موسم الربيع والصيف ولا الخريف والشتاء، بل تؤتي أكلها كلَّ حين، وتُقَدِّم ثمارها بكل سخاء، مثل ما هو متوقع من تلك القامة الشامخة.

إن أمتنا اليوم بقدر حاجتها إلى الغذاء والهواء، في حاجة إلى مرشدين صامدين ذوي عزيمة لا يَسخطون ولا يستاؤون ولا يسأمون، ولا ينتابهم اليأس والقنوط بتاتًا.. وأما الذين خرجوا إلى الطريق بِوَازع الترف، ولم يجدوا مبتغاهم الذي يوافق هواهم، ثم سقطوا في اليأس والقنوط، أو دخلوا في جدال مع خالقهم، فأولئك بعيدون عنا ونحن بعيدون عنهم بفراسخ، علمًا أن دَوَران الكون في مداره الواسع، لن يتحقق على حسب الفلسفة المتعفنة لهؤلاء البؤساء، ولن يجري وفقًا لهندستهم الفاسدة.

وفي هذه الأيام التي تتبسم لنا آلاف من براعم الأمل، بالإضافة إلى ما تحت التراب من آلاف البذور التي تنتظر سقوط الجمرة إلى الهواء والماء والتراب لتذيب الثلوج، نتمنى للقلوب المحرومة من الأمل أن تتحلى بالأمل والرجاء. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:٢٣ (ديسمبر ١٩٨٠). الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

الحَذَر

ورامي الكلاليب ما أكثرَهْ
يَصيد يمينًا شمالاً وَقُرْبَا
ودنياهُ أكوامُ آثامه
فتُدْمي قلوبًا تُسبِّح رَبَّا
وتَنعى جُموعًا غدَا فكرُها
فراغًا خرابًا يُفطِّر قلبَا.

***

د. ناصر أحمد سنه*

فيزياء الصوت والصيحة

لا شك أن الصوت هو أحد الظواهر الكونية الهامة، ووسيلة فاعلة من وسائل التواصل عند الإنسان والحيوان. يستفيد الإنسان من الصوت في مناشط حياته اليومية ومنجزاته التقنية. والصوت موجات أو اهتزازات أو ترددات ميكانيكية قادرة على التحرك في أوساط عدة، مثل الغازات والسوائل والأجسام الصلبة، ولا ينتشر في الفراغ. وتبلغ سرعة الصوت في الهواء (عند درجة ٢٠ مئوية) نحو ٣٤٣ مترًا في الثانية (أي ١٢٢٥ كيلومترًا في الساعة)، بينما سرعته في الماء تصل ١٤٨٢ مترًا في الثانية، كما أن سرعة الصوت ليست قيمة ثابتة مثل سرعة الضوء (٢٩٩,٧٩٢ كم/ثانية)؛ حيث تتأثر سرعة الصوت بعوامل

يستطيع الإنسان تمييز الصوت من خلال شدته وتردده، وعندما يصل إلى أذنيه يتحول إلى إشارات تسير عبر العصب السمعي نحو اللحاء السمعي بالدماغ، فيتجاوب معها بأوامر صوتية أو فعلية أو تخزينية.

عديدة، منها الضغط والحرارة، والمجال المغناطيسي، وكثافة ولزوجة المادة التي يتحرك فيها الصوت. ويمكن توليد الصوت بوسائل ميكانيكية أو حرارية، وتستخدم الوسائل الحرارية، في بناء المبردات الصوتية الحرارية، وفي الكشف عن الماء الموجود في النفط.

يستطيع الإنسان تمييز الصوت من خلال شدته وتردده، وعندما يصل إلى أذنيه، يتحول إلى إشارات تسير عبر العصب السمعي نحو اللحاء السمعي بالدماغ، فيتجاوب معها بأوامر صوتية أو فعلية أو تخزينية.. وتمثل شدة الصوت، طاقته في الثانية نسبة لكل وحدة مساحة. وبالتالي تستطيع الأذن البشرية سماع أصوات ذات شدة (ديسيبل) منخفضة (صوت حك اليدين بلطف) وأخرى مرتفعة الشدة، لكنها قد تؤذي الأذن. فكثرة التعرض للضوضاء -وقتًا وشدة- يُحدث ضعفًا مؤقتًا أو مستديمًا في حاسة السمع.

أما نطاق السمع (Audible Range) الواضح للأذن البشرية، فهو ما تراوح ترداداته بين ٢٠ هرتز إلى ٢٠ كيلوهرتز (٢٠,٠٠٠ ذبذبة في ثانية)، وقد يختلف هذا المدى من شخص لآخر، ولكن ينخفض عند كبار السن إلى حوالي ١٠,٠٠٠ هرتز. وإن أقصى درجات الإحساس بالصوت لأذن بشرية، يقع في المدى ما بين ٥٠٠٠-٨٠٠٠ هيرتز الذي يشمل ذبذبات الحروف الهجائية. وكما هو معلوم أن لكل صوت تردده المعين، ويمكن إحداث الموجات السمعية عن طريق الأحبال الصوتية في الإنسان والآلات الموسيقية، سواء الوترية أو النحاسية أو الأنبوبية وغيرها من الآلات.

ويختلف حد السمع لدى الحيوانات؛ فالخفاش يولد موجات فوق صوتية تصل إلى ١٠٠ كيلوهرتز، ثم يعيد استقبالها ليهتدي بها إلى طريقه وغذائه في الكهوف المظلمة. كما يستطيع الكلب سماع الأصوات الأعلى ترددًا على السمع البشري، تصل إلى ٥٠ كيلوهرتز. أما بعض المخلوقات البحرية -كالدلافين والحيتان- قادرة على سماع أصوات بترددات ٤-١٨٠ كيلوهرتزًا، وثمة موجات أسرع من الصوت أو خارقة له (Trans Sonic). هذا وقد يطلق مصطلح هايبرسونيك (Hypersonic) على سرعاته التي تزيد خمس مرات عن سرعة الصوت. وأحيانًا تطير الطائرات النفاثة بسرعات تفوق سرعة الصوت، فتنتج موجات صدمية، واضطرابات ضغط قوية تتراكم حولها، وبالتالي يسمعها الناس على الأرض كضجيج عال أو فرقعة صوتية لدوي اختراق حاجز الصوت عندما تعبر فوقهم.

أما الموجات فوق الصوتية (Ultrasound waves) فهي تفوق ٢٠ كيلوهرتزًا، وهي موضع بحث واهتمام مكثف لتطبيقاتها الهامة في مجالات طبية وصناعية. عليه فقد أصبح بالإمكان إنتاج موجات فوق صوتية تزيد ترداداتها على مليون هيرتز، وقد يرسل جهاز الموجات فوق الصوتية نبضات صوتية بترددات تتراوح بين ١-١٠ ميجاهيرتز من خلال مجس خاص، فتخترق الأجسام لتصطدم بالأنسجة والأعضاء والسوائل والفواصل الجسمية، ومن ثم تعود لتنعكس إلى المجس.

تبقى الموجات تحت الصوتية (Infrasound) وهي التي يقل ترددها عن ٢٠ هيرتزًا، ولا تستطيع الأذن البشرية سماعها، بل إن لها آثارًا مدمرة على الإنسان. ومن جانب آخر إن بعض الأسلحة الفتاكة تعتمد على الموجات تحت الصوتية، ويبلغ ترددها ٧ هيرتز مع شدة معينة من الديسيبل، فتولّد ذبذبة مماثلة لدرجة الموجات

الصوتية نتيجة للرنين، وقد تصاب الأعضاء بالرجفة التي تؤدي لانفجار العضو الداخلي لجسم الإنسان، كما يوصف المتعرض للموجات تحت الصوتية بأن لونه مخضرّ كالعشب الأخضر. ومن أهم مصادر هذه الأصوات، الحركة الاهتزازية والانزلاقية لطبقات القشرة الأرضية وما ينتج عنها من زلازل وبراكين. والملفت للنظر أن بعض الحيوانات تملك قدرة الإحساس بالزلازل قبل وقوعها، لأن حد السمع لديها يشمل هذه الموجات تحت الصوتية.

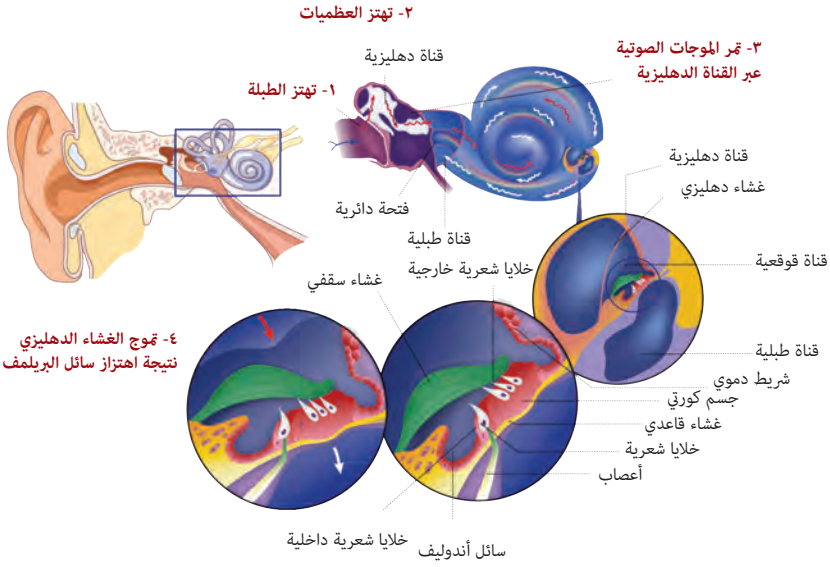

٥- إثارة الخلايا الشعرية واهتزازها يؤدي إلى توليد نبضة كهربائية تنتقل على العقدة العصبية للعصب السمعي ثم على مراكز السمع في المخ.

آلية نظام السمع لدى الإنسان

فيزياء الصيحة

وردت لفظة "الصيحة" في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة. والصَّيْحَةُ هي العذاب والهلاك والصرخة والغارة والنداء.. وبها أهلك الله تعالى أقوامًا: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(هود:٩٤-٩٥).

ولعل "الصيحة" موجات تحت صوتية نتيجة اهتزازات أرضية، وقد تصبح أشدّ وقعًا داخل الجبال والكهوف؛ حيث تنتقل لمسافات بعيدة دون فَقْد قوتها أو قدرتها على اختراق الحواجز. وتزداد شدتها باختراقها فجوات الجبال، فيعلو رنينها وصداها وتصبح مميتة مع خوف وفزع وارتجاف في الأجسام واهتزاز الأعضاء والأحشاء وانفجارها؛ تأثرًا برنين هذه الموجات الصوتية.

ولم يستطيعوا سماع "الصيحة" القادمة إليهم، فرجفت أجسامهم، ولم يبق منها إلا فتات كالهشيم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾(القمر:٣١)؛ يقول الأزهري: "من قرأ المحتظِر (بكسر الظاء) أراد كالهشيم الذي جمعه صاحب الحظيرة ويبس وتكسّر. ومن قرأ بالفتح، فاسم للحظيرة وهي المكان الذي يحتظر فيه الهشيم. والمعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبيس الشجر إذا تحطم".

وصحيًّا.. يلعب هرمون الكورتيزول (Cortisol) المُنتج من الغدد المجاورة للكلي، دورًا هامًّا ورئيسًا في تهيئة الجسم لمقاومة الضغوطات (Stresses)، فهو يرفع ضغط الدم ومستوى السكر فيه. ومع كثرة التعرض للضغوطات يعمل إفرازه المتزايد على إضعاف جهاز المناعة. وكثرة التعرض للإصابة بارتفاع ضغط الدم والجلطات الدماغية والقلبية، ويحدث شعور بالضيق والضغط الشديد عند التعرض الطويل للموجات تحت الصوتية (غير المسموعة) والتي يشعر بها الجسم فقط. مما يحفز الجسم علي إفراز الهرمون. كما يتم إفرازه أيضا عند التعرض لموجات تحت صوتية أثناء النوم، فيؤدي ذلك إلى ارتجاف بعض أعضاء الجسم كالمعدة أو القلب، لذا ففي الساعات الأولى من الصباح يكون أعلى معدل لإفرازه استعدادًا لاستعماله مع اليقظة، كما أنه إذا تم تحفيز إنتاج هذا الهرمون في الصباح، فإن ذلك يؤدي إلى تخريب الإنتاج الطبيعي له. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

يوسف المتوكل*

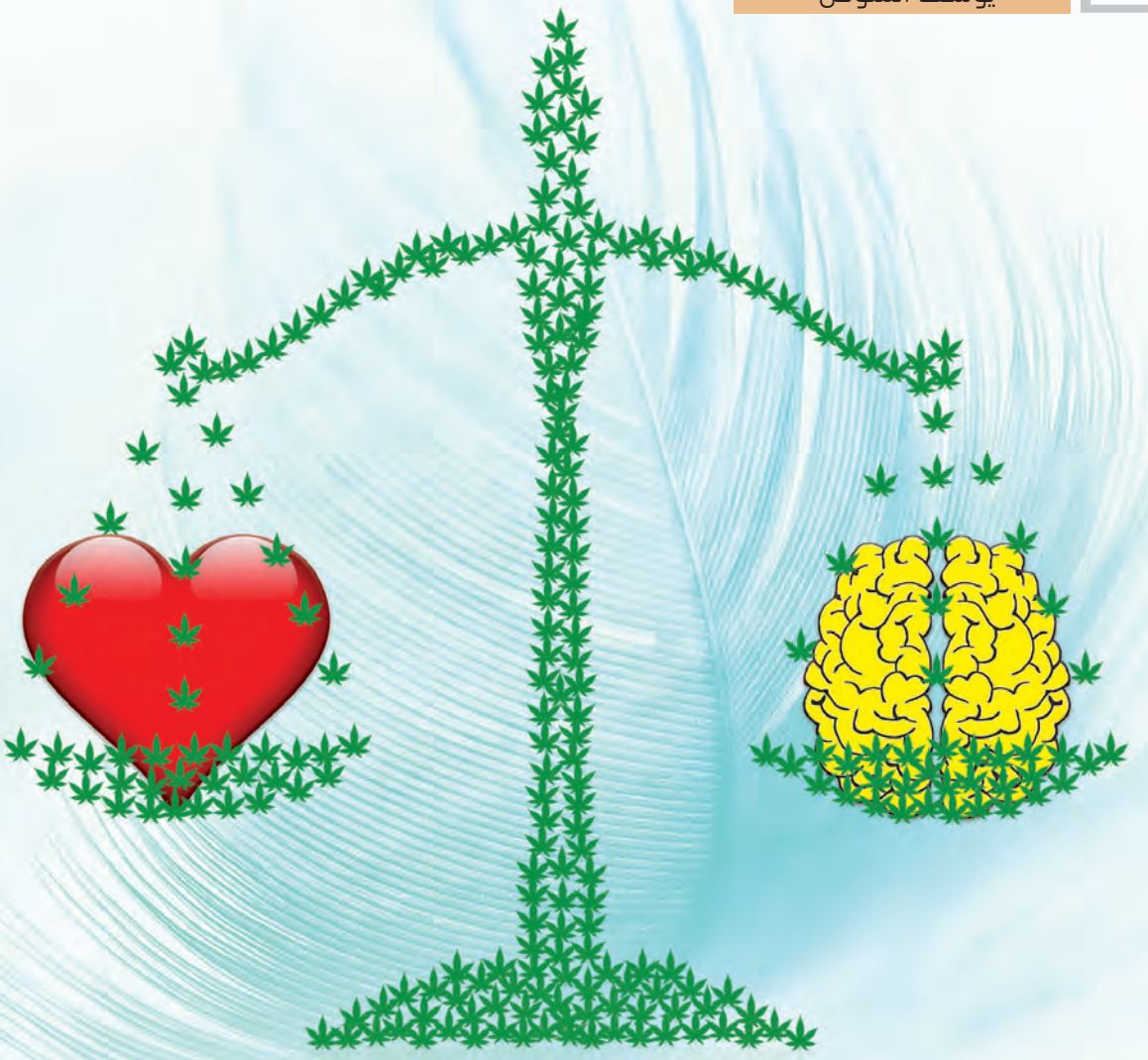

العفو العام فضيلة منسية

ظهرت قضية "العفو العام" على نطاق الإنسانية قاطبة مع ظهور مصطلح "الجرائم ضد الإنسانية"، خصوصًا في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية، حيث -ولأول مرة- تقف الإنسانية بشكل قانوني لمحاسبة نفسها على نطاق كوني، ومنذئذ تحول العفو إلى قيمة أخلاقية تلجأ إليها الشعوب لتأمين انتقال مدني سلمي للسلطة، نحو مرحلة جديدة من التصالح بين أعضاء المجتمع الواحد.

ولما كان العفو العام عن الجريمة موجودًا وتطور حتى صار تشريعًا، فأصبح يعرف في الاصطلاح القانوني أنه قانون يصدر عن السلطة التشريعية، بهدف محو الصفة الجرمية عن الفعل، وبه يتنازل المجتمع عن حقه في معاقبة

الفاعل على فعله، وهو عفو شامل يشمل جميع الجرائم والأشخاص بأحكامه.

ويصدر هذا العفو غالبًا إثر الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ومحاولة تغيير بعض الأنظمة الشمولية، إما بالثورة أو الانقلاب، فيسعى المشرع أو رئيس الدولة أو الملك إلى إصدار عفو عام، فيسدل الستار على ذلك الماضي وما اكتنفه من ذكريات أليمة، سعيًا لتحقيق مصالحة عامة، ونشر الطمأنينة والسكينة في المجتمع.

إن فلسفة العفو ليست دفع الأفراد والجماعات إلى التمادي في الجرائم أو تجاوز القوانين والحدود، بل محاولة إبعاد جوّ الذنب والجريمة عن المجتمع. وبناء على هذا، فإن الدين الإسلامي يتوخّى من ذلك تحقيق عدة أهداف، من أهمها القضاء على الذاتية والأنانية، إذ من المعلوم أنّ النسبة الأكبر من الصراعات السياسية والاجتماعية منشؤها حب الذات والجري وراء المصالح الذاتية في الحكم على البلاد والعباد. وهو ما يصطلح عليه الفيلسوف طه عبد الرحمن بـ"مبدأ النسبة"؛ أي إن "النفس البشرية تنسب الأشياء إليها، ولا تزال هذه النسبة تتزايد ويتسع نطاقها مورثة الشعور بأنه أضحى يملك ويسود، حتى تنبعث فيه الرغبة في السيادة على غيره من الخلق، ثم تأخذ هذه الرغبة في التصاعد والاشتداد حتى تستبد به".

تلك هي فلسفة العفو الذي يراد به الدفع بالمجتمع نحو التصالح مع الذات والغير، في نزوح جماعي للضمير الإنساني نحو الرقي والكمال لكي يعفو ويصفح عمن ظلم واعتدى.

وإذا كنا بصدد التسويق، وإعطاء مدلول آخر لهذه القيمة الإنسانية والأخلاقية، ذات البعد الاجتماعي والسياسي، يستجيب لنداء الفطرة الإنسانية السليمة، فإنه لا بد وأن نستشير التاريخ الإنساني في أرقى حقبه الزمنية، ونستدعي نماذجه الحية التي يشهد لها العالم بأسره في العدالة الاجتماعية، ذلك لأن التاريخ مدرسة شاهدة على مراحل رقي المجتمعات وتطورها أو انحطاطها وأفولها.

أما النموذج الحي الذي نحن إزاء بسطه وتحليل أحداثه -وفق رؤية جديدة- فهو حدث "فتح مكة" الذي

إن فلسفة العفو ليست دفع الأفراد والجماعات إلى التمادي في الجرائم أو تجاوز القوانين والحدود، بل محاولة إبعاد جوّ الذنب والجريمة عن المجتمع.

حراء

شهد له التاريخ الإسلامي -وبالضبط في عهد النبوة- والذي أُرِّخ له في العشرين من رمضان في العام الثامن من الهجرة، حيث كان حدثًا باهرًا للعالمين، وكان نموذجًا راقيًا يحتذى به في قضية "العفو العام".

وقد اعتبره المؤرخون والدارسون معجزة في العفو عن الناس، لا يمكن أن تتكرر على مر التاريخ، لما كان لها من وقع مفاجئ على أهل مكة والجزيرة العربية وكل العالم من حولها آنذاك.

وقبل الدخول في تفاصيل الحدث، دعونا نستحضر شهادات بعض المستشرقين الغربيين المنصفين، والتي جاءت نتيجة دراسة علمية اكتملت فيها عناصر المنهج العلمي الحديث، القائم على الملاحظة والتجربة والاستقصاء حول هذا الحدث الذي توِّج بـ"العفو العام".

ونبدأ بالمستشرق الفرنسي "إميل دير منجيم" (E. Dermenghem) الذي يشهد شهادة منصفة على هذا الحدث في كتابه "حياة محمد" فيقول: "إن محمدًا قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتًا للنظر، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قلما يوجد لها مثيل في التاريخ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحذَّرهم من أن يهدموا البيوت، أو يسلبوا التجار، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة.. وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حال الضرورة القاهرة، بل رأيناه يؤنب بعض قواده ويصلح أخطاءهم إصلاحًا ماديًّا ويذكِّرهم بأن الحفاظ على نفس واحدة خير من ألف فتح.

وذلك ما أكده المؤرخ الأمريكي "واشنجتون أيرفنج" (Washington Irving) في كتابه "حياة محمد" أيضًا، معلقًا على قرار "العفو العام"، حيث قال: "كانت تصرفات الرسول محمد في أعقاب فتح مكة، تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توّج

نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو".

وباستدعاء هذا النموذج الحي من التاريخ الإسلامي واستحضار هذه الواقعة التي كانت فتحًا عظيمًا، ليس للمسلمين فقط بل حتى للأديان المجاورة والثقافات الأخرى التي تتلمس عظمة الإسلام والمسلمين في تعاملهم مع مخالفيهم وحتى أعدائهم بالسماح والعفو ومنحهم الحرية التامة، بالأحرى مع المجاورين من أهل الكتاب وغيرهم.

فبعد أن تم صلح الحديبية، اشتغل المسلمون بنشر الإسلام وتعاليمه، وكان وفاؤهم لقوم قريش أمرًا مقررًا فيما أحبوا وفيما كرهوا. وعندما نقضت قريش المعاهدة كان الفتح، حيث استجاب الرسول ﷺ لنصرة المتحالفين معه -وهم قبيلة بني كعب- والرد على عدوان قريش من السرعة والحزم، فسار جيش المسلمين مسرعًا إلى مكة، ونصبت الخيام وأوقدت النيران في معسكر يضم حوالي عشرة آلاف جندي.

دخل أبو سفيان ﷺ مكة مبهورًا مذعورًا، وهو يحس أن من ورائه إعصارًا، إذا انطلق اجتاح ما أمامه فما يقف دونه شيء. ورأى أهل مكة الجيش الفاتح يقبل من بعيد، فاجتمعوا على سادتهم ينتظرون الأمر بالقتال، فإذا بأبي سفيان ينطق بصوت عال: "يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"؛ فتفرق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد.

كان الجيش يتقدم ورسول الله ﷺ على ناقته يبدو عليه التواضع الجم. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثًا إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به، ينتظر إشارة منه فلا يبقي بمكة شيئًا قائمًا.

إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول؛ كيف خرج مطاردًا.. وكيف يعود اليوم مؤيدًا منصورًا.. لكن الصحابي الجليل سعد بن عبادة ﷺ زعيم الأوس، ذكر ما فعل أهل مكة ثم شعر بزمام القوة والسطوة في يده فصاح: "اليوم يوم الملحمة.. اليوم تستحل الحرمة.. اليوم أذل الله قريشًا".. فلما بلغت هذه الكلمة مسامع رسول الله ﷺ قال: "بل اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشًا" (رواه البخاري). ودخل النبي ﷺ مكة شاكرًا حامدًا ربه، متواضعًا لله.. كان يحفه خير الجنود وعليهم وَقَار البطولة، وكان بإمكانهم تدمير مكة على رؤوس المشركين الذين عذّبوا المسلمين وسجنوهم وحاصروهم وأخرجوهم من ديارهم.. ولكن بعد أن طهر المسجد أقبل رسول الله ﷺ على قوم قريش وهم صفوف يرقبون قضاءه فيهم، فقال ﷺ: "لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده".

ثم أعلن النبي الكريم في هذه اللحظة "العفو العام" عن أهل مكة عندما اجتمعوا حول الكعبة وهم يسمعون له، إذ قال: "يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا: خيرًا، أخ كريم و ابن أخ كريم، قال: "فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء".

تلك كانت قصة "العفو العام"، وكان هذا ما نطق به لسان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام في يوم "الفتح الأعظم"، الذي شهد له التاريخ بعظم عفوه وتسامحه مع ألدّ أعدائه.. ولا شك أن ذلك قمة التعبير عن العفو عمن ظلم واعتدى.

كان هذا الفتح فتح أخلاق ورحمة قلما نجد في تاريخ البشرية فتحًا يضاهي فتح مكة في روعة أخلاقياته. لقد ازدحمت في ذاك اليوم، مشاهد الأخلاق الكريمة، وصور الخلال السجية، حتى تيقن الدارسون والباحثون والمفكرون في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، أن محاضن التربية التي كانت "دار الأرقم" وعاء لها، قد أتت أُكلها وأينعت ثمارها وانتفضت حية في سلوك الصحابة يوم الفتح.

فلم نسمع يوم صدور "العفو العام"، أن رجلاً مسلمًا هتك عرض امرأة، أو هدم بيتًا، أو أفسد زرعًا، أو قتل ظلمًا، أو فزّع طفلاً.. فأخلاقيات "العفو العام" هي أخلاقيات تمخضت عن نفوس أُشربت على التراحم فيما بينها والتآخي والتغافر. ليس هذا فحسب بل وبعد تمكُّن المسلمين من الحكم، شيدوا نظامًا زاخرًا بالعفو والتسامح والأخوة، متحلّيًا بالحق الرحمة والعدالة. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

صالح القاضي*

العيد المأمول

هو يوم الوصول والوصال.. يوم اللقاء والانبهار، هو ذاك اليوم الذي من أجل لقياكَ ضرب السائرون إليك أكباد أنفسهم وأسرعوا السير وانقضت أعمارهم فرارًا إليك وكحَّلو أعينهم بسواد ليل ودمع. إليك يا كل المنى والتمنِّي، إليك يا من تعالى واقترب، يا من أحب فعُشِق، يا من بتقديرك انتظم الملكوت، وبرحمتك وصلت الشفقة لكل مولود، يا من عز وقَدَر وأراد وأمر، كلٌّ على وفق مشيئتك يمشي ويسير، لك الإرادة والتدبير، أنت من هو خلف الأسباب والمسبِّبات وتدبير المخلوقات.

العيد هو العَود إلى حظيرتك القدسية، هو نظرةٌ بلا إحاطة إلى طلعتك البهية، إلى أنوارك العلوية السرمدية الأبدية. العيد هو الزيادة بعد إعطاء المزيد.. لولا ذاك العيد ما طلب العابدون العائدون إليك الجنان، وما اشتكوا من نيران، فهم في لهيب الاشتياق إلى لقياك منذ نشأوا، وما

رضوا بذلك التعذيب إلا لعلمهم بعذوبة الوصال ولذته.

يا من فوق فوق الخيالات، وإليه تصعد الدعوات.. تدعوك القلوب مقرة بعلاك، وأنت أقرب للقلوب من الخلجات والخفقات.. يا من جمع بين كل ضدٍّ ولا ضد ولا ندّ ولا وزير ولا مشير.. من حيث قربك من الخلق أحسّوا برحماتك وجناب جمالك، ومن حيث بعدهم عنك هاموا على وجوههم يسجدون حينًا ويرفعون أياديهم تقديسًا لعلاك حينًا.. أمرتهم بالانقطاع عن التخيل في الذات لإصلاح ذواتهم من الفساد فأتمروا بلا كيفَ؟ ولِمَ؟

انتظروا ذاك العيد المأمول يوم الشهود في يوم الخلود، والعَود للمعبود، وتقديسك في علاك يا محمود.. ها هم في بعدهم عنك عبدوك وقدسوك وحمدوك وعشقوك.. فكيف حالهم بقربهم منك وإذْنك لهم برؤية أنوار جمالك العلية المتعالية عن الأوصاف والإدراك؟! أقسم بجلال جمالك أنهم لولا تثبيتك لقلوبهم أثناء ذاك اللقاء لانخلعت قلوبهم، ولولا عِقالك لعقولهم فلم يبق لعقولهم أثر، ولولا تجليك بجمالك لذابوا من جلالك، ولولا رحماتك بعبادك ما استحق واحد منهم الاطلاع ورؤية جمالك.

لك يا لطيف، الحمد والثناء المجد والإجلال، ليس بألسنة التراب، ولكن بلسان الأرواح العلوية في الملكوت.. ولا هم يحمدوك بما تستحق ولا يثنوا عليك كما ينبغي، بل نثني عليك ونحمدك بثناء وحمدٍ من ذاتك لذاتك، من حيث أنت أنت بلا واسطة ولا عدٍّ ولا حدٍّ، واحد أنت في علاك، فردٌ عن المشابهة والمماثلة في الأسماء والصفات، ولا أحد من المخلوقات عالم بك. علمك لذاتك، فلا يوفون حق حمدك وإن اجتهدوا وواصلوا الليل بالنهار، وصارت دموعهم أنهارًا.. في الصحاري يصرخون في طلبك صرخة تنهار منها الجبال تنهار، لكل ذا نحمدك بكل مجامع الحمد، من الأبد للسرمد، وبعده نُقرّ فنقول: ما حمدناك حق حمدك يا محمود، وما قدَّسناك حق تقديسك يا الله. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

التآخي

اِجمعَا الأفْقَيْن جمعًا
واضربَا في العمق جِذْرَا
لا سقوطًا أو شَتاتًا
أو غَمامًا مارَ مَوْرَا
إنْ سعى الواشُون سعيًا
فاهْجُرَا الأحقادَ هجرَا
أعرضَا عنهمْ وقولوا:
لا نبالي -بَعْدُ- أمرَا

***

مصطفى بوهبوه*

النية وأثرها في العمل التطوعي

نظرًا لكثرة الذين يبادرون إلى العمل التطوعي الخيري في وقتنا المعاصر من جمعيات، ومؤسسات، ومنظمات، ومبادرات فردية وجماعية، يأتي هذا المقال ليكون بمثابة محفز لهؤلاء، وقصد ترشيد العمل التطوعي والنهوض به. العمل التطوعي عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، ولا يترتب عليه ثواب إلا على حسب نية المكلّف وقصده. والمراد بمقاصد المكلفين، تلك الدوافع والدواعي التي تجعل المكلفين يتجهون إلى عمل ما.

الأعمال لها تأثير في القلب، فإذا أنيطت بالقصد الصحيح والنية الخالصة أحيت القلب وأيقظته، وإذا لم تقترن الأعمال بالمقاصد الشرعية والنوايا الطيبة أماتت القلب وأعمته.

فما هو أثر مقصد المكلّفين في العمل الخيري التطوعي؟

اهتم الشرع الحنيف بمقاصد المكلّفين ونياتهم اهتمامًا كبيرًا؛ ذلك لأن النية هي أسّ العمل وروحه، ولا قيمة للعمل في ميزان الشرع بدون نية خالصة وقصد صحيح. وفي هذا السياق يذكر الدكتور صالح غانم السدلان أن مقاصد العباد ونياتهم محل نظر الشارع الحكيم، العالم بما يترتب على ما أمر به عباده، فقد عُني القرآن الكريم بمقاصد المكلّفين ونياتهم عناية فائقة تفوق الاهتمام بأي مسألة أخرى، كما عُنيت بذلك سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، ذلك لأن الأعمال لها تأثير في القلب، فإذا أنيطت بالقصد الصحيح والنية الخالصة أَحيت القلب وأيقظته، وإذا لم تقترن الأعمال بالمقاصد الشرعية والنوايا الطيبة أماتت القلب وأعمته، وعدّت في ميزان الأعمال هباءً منثورًا وسرابًا خادعًا، لا يظفر صاحبها بغاية ولا يروح رائحة نعيم، فميزان الأعمال القصد والنية، ومن وراء ذلك العمل".

فالأعمال لا تصح إلا بالنية لكونها الفاصلة في صحة العمل وعدم صحته، والدليل على ذلك ما روي بالسند عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"، فمن أراد أن يتطوع بعمل ما، فعليه أن ينوي به التقرب إلى الله تعالى عند الشروع فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: "فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى، فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، ويصح بصحتها، ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة".

وانطلاقًا مما سبق، يتضح أن مقصد المكلّفين مهم جدًّا في العمل التطوعي، فهو يساعد على حفز دافعية المتطوّع، ويشحذ همته ويولد لديه الطاقة اللازمة للقيام بالأعمال التي يختارها، كما أنه ينمّي الرقابة الذاتية لدى المتطوعين بشكل عام، على اعتبار أنهم يعملون لوجه الله تعالى وابتغاء ما عنده من الأجر.. وهذا يؤدي إلى إتقانهم للأعمال الموكلة إليهم، وينمّي رغبتهم في الارتقاء بها وتطويرها، لأن الإتقان والتطوير مطلبان شرعيان، وقد قعَّد الفقهاء قاعدة فقهية تشير إلى ما ذكرنا وهي "الأمور بمقاصدها"؛ أيْ إن أعمال المكلف وتصرفاته من قولية أو فعلية، تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص وغايته وهدفه من وراء تلك الأعمال والتصرفات، لأن كل تصرف من تصرفات المكلف يحكمها دافع منبعث من القلب، سواء في ذلك تصرفاته الدنيوية أو الأخروية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشريعة تريد من المكلف أن يكون قصده موافقًا لقصد الشارع، ومحصلاً للمصلحة التي أرادها من العمل التطوعي، وهو فعل الخير بتحصيل المصالح ودفع المفاسد. فإن كان قصده مخالفًا لقصد الشارع، كأن يجعل العمل التطوعي المشروع وسيلة إلى تحصيل مفسدة أو تفويت مصلحة، أو يكون قصده بالعمل التطوعي مجرد قصد الإضرار بالغير تحت غطاء العمل التطوعي، فهذا كله يؤدي إلى خرم مقصد الشريعة، فلا يجوز القيام بهذا العمل.

ونستخلص مما سبق بيانه، أن من الأمور المهمة في النهوض بالأعمال عمومًا والعمل التطوعي خصوصًا، العناية بمقصد "نية" المتطوّع، وتهذيب الدافع الأساس لديه، ليتوجه إلى ابتغاء ثواب الله تعالى. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

د. محمد البويسفي*

إن المنتصر الحق من هزم نفسه، أما الأرواح التي لم تتخلص من أسر النفس ورغباتها، فهي مهزومة حتى لو فَتحت العوالم كافة.

الموازين

قيم البيئة في القرآن والسنة

القيم تبني القناعات وتخاطب الضمير، وتخلق رقابة ذاتية للإنسان تجاه أفعاله وتصرفاته في البيئة المحيطة به، والقيم نجحت فيما فشلت فيه القوانين الزجرية القائمة على الرقابة الخارجية. والقيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، قريبة من الروح والوجدان محببة إلى القلوب، وتنسجم مع الفطرة البشرية والعقول السليمة. وقد حدد هذا المقال القيم الخاصة بالبيئة في القرآن والسنة، وقسمها إلى قيم الجمال، وقيم الاستخلاف والتسخير، وقيم المسؤولية والمحافظة على البيئة.

١- قيم الجمال

قيم الجمال في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثيرة ومتعددة، تهدف إلى بيان الجانب الجمالي في الإسلام، باعتباره دينًا سماويًّا جاء لهداية

لكي يستفيد الإنسان من الكون المسخر له، حددت النصوص الشرعية مجموعة من القيم الضابطة لتصرُّفه في الموارد البيئية، ومن هذه القيم، الوسطية والاعتدال.

البشرية وإرشادهم لكل ما هو جميل في الصفات والأفعال والأقوال والأحوال، وملبيًا لحاجات الإنسان الذي فُطر على حب الحُسن والجمال. فالجمال موجود في كلام الله تعالى، في كلماته ونظمه ومعناه، كما أن الناظر في النصوص الشرعية يجدها حافلة بمعاني الجمال بداية بخِلقة الإنسان وهيئته التي خلقه الله تعالى عليها.

وينبه القرآن الكريم على مظاهر الجمال في هذه البيئة التي هي مأوى الإنسان في الحياة الدنيا، جمال الكون عامة وجمال الأرض خاصة، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(الكهف:٧)، فكل ما خلقه الله على الأرض، هو بقصد تزيينها وتهيئها لاستقبال الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾(ق:٦)؛ فالسماء أيضًا فيها زينة، والله تعالى هو الذي زينها كما زين الأرض وأحسن خلق الإنسان. وهذه الزينة مقصودة حتى يعيش الإنسان في سعادة، كما أن حب الجمال أمر طبيعي وغريزي في الإنسان.

والجمال مبثوث في الحيوانات أيضًا التي خلقها الله تعالى لنا، لكي نستفيد منها ونستعين بها على تذليل صعاب الحياة، بما للإنسان فيها من منافع الأكل والشرب والدفء، حيث يقول تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾(النحل:٥-٦)، وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة. فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب؛ بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان.

والزينة موجودة في البحار أيضًا وما تحتويه من حلية اللؤلؤ والمرجان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:١٤)؛ ففي البحر منافع للإنسان وفوائد منها الزينة والجمال. وفي مجال التجمل والتزين أَمَر الله تعالى بأخذ الزينة عند التوجه لِدُور العبادة في منظر تعبُّدي جميل، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(الأعراف:٣١). كما طلب تعالى من المسلمين مراعاة الجمال والحسن في المشي وفي رفع الصوت، لأن الإسراع في المشي أو البطء فيه مظهر غير لائق حضاريًا، والمطلوب هو المشي في توسط واعتدال، ومثله التوسط في استعمال الصوت وعدم رفعه، لأن الأصوات العالية مزعجة، وهناك تلوث سمعي نتيجة الضجيج الناتج عن المحركات والآلات، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان:١٩).

وفي ذلك مظهر اجتماعي راق، وبيان من الله تعالى لنعمه على العباد، وتبصرة لهم بمواطن الجمال في البيئة، وتنبيهًا لهم على ضرورة الحفاظ عليها وعلى الجانب الجمالي فيها، حتى لا تفسد هذه البيئة ويذهب جمالها، فتفسد حياة الإنسان ويصيبه الضنك والشقاء.

وقد أمر الله تعالى بالإحسان، ونهى عن الإفساد في الأرض، وخاطب الإنسان المسؤول عن البيئة وعن جمالها وخيراتها، لأنها مسخرة له بما فيها من الثروات المائية والنباتية والحيوانية. وبيان الجانب الجمالي في البيئة مقصود منه تنبيه الإنسان لهذا الجمال وعدم إغفاله، وأخذه بعين الاعتبار في إعمار الأرض وإصلاحها، وتنمية للذوق وصقلاً للملكات والمواهب في الإنسان للإبداع الجمالي في الحياة بما هي عبادة لله بمفهومها الواسع.

ونجد في السنة النبوية الشريفة حديثًا مستفيضًا عن قيم الجمال، وحثًّا عليها وبيانًا لها، فقد قال النبي ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"؛ فينبه ﷺ إلى قيمة الجمال في الحياة، وأنها مطلوبة من الإنسان، وأن الله تعالى يتصف بصفة الجمال في صفاته وأفعاله وله كل صفات

hiragate.com

الكمال والجمال، وهو تعالى يحب الجمال، والمؤمن مطالب بفعل ما يحبه الله تعالى والابتعاد عما يكره، وسياق الحديث هو بيان تحريم الكبر وذمه وتقبيحه.

ونجد قيمًا جمالية كثيرة في السنة النبوية تضيء لنا دروب الحياة، وترشدنا نحو نمط راق في السلوك اليومي الحضاري، مثل نهي ﷺ عن تلويث الطرق، فقال: "اتقوا اللعانين" قالوا: وما اللعانان؟ قال: "الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم" (وراه مسلم)، وقوله ﷺ: "الإيمان بضْعٌ وسبعونَ -أو بِضْعٌ وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان" (وراه البخاري).

والغاية من كل هذه الإرشادات والتوجيهات النبوية، هي أن تكون طرقنا وشوارعنا وأحياؤنا خالية من التلوث والنفايات المنغصة للحياة، وتبقى نقية جميلة مريحة في المشي، تبعث في النفس الاطمئنان والراحة والسكينة.

٢- قيم التسخير والاستخلاف

لكي يستفيد الإنسان من الكون المسخر له، حددت النصوص الشرعية مجموعة من القيم الضابطة لتصرف الإنسان في الموارد البيئية، ومن هذه القيم الوسطية والاعتدال في الاستغلال. ومَن تأمل في النصوص الشرعية قرآنًا وسنة، يجدها تأمر بالوسطية والاعتدال في كل شيء. ومِن مبادئ الشريعة الإسلامية، اتباع الطريق المعتدل والمتوازن في التكليف. وهذه الوسطية شيمة الأمة المسلمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(البقرة:١٤٣). ومعلوم أن تسخير الله تعالى الكون للإنسان واستخلافه في الأرض، قائم على سنن وقوانين ربانية صارمة، متى حاد عنها الإنسان وقع خلل واضطراب في حياة البشر.

إن الله تعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض من أجل إعمارها وإصلاحها، بما له من مؤهلات الاستخلاف التي ليست لغيره من المخلوقات. كما خلق الله تعالى في الإنسان حب البقاء والخلد والتملك.. وهذه الغرائز تدفعه إلى العمل والجد وإعمار الأرض، وبذل كل طاقاته لإشباع غريزتي "الملك" و"الخلد"، وهاتان الغريزتان شكَّلتا المدخل الذي دخل منه إبليس

قيم الجمال في القرآن والسنة النبوية، تهدف إلى بيان الجانب الجمالي في الإسلام، باعتباره دينًا سماويًّا جاء لهداية البشرية وإرشادهم لكل ما هو جميل في الصفات والأفعال والأقوال والأحوال.

حراء

لغواية آدم للأكل من الشجرة المحرمة عليه في الجنة.

وبالإضافة إلى هذه الغرائز التي أودعها الله في الإنسان، أمدَّه بدين قيِّم يتضمن منهجًا واضحًا للسير والعيش في هذه الأرض في هداية وسعادة، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾(طه:١٢٣)، وبهذا استخلف الله آدم عليه السلام في الأرض واستعمره فيها.

وباستقراء نصوص القرآن والسنة النبوية، نجد عددًا كبيرًا من الأحاديث تأمر بكل ما من شأنه عمارة الأرض، بدأ بالحث على العمل والكدح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة:١٠٥).

وفي السنة النبوية أيضًا، نجد الحث على عمارة الأرض وإحياء الأرض الموات، قال ﷺ: "من أحيا أرضًا ميتة فهي له"، والأرض الميتة هي الأرض الخراب التي لا مالك لها ولا عمارة بها، وإحياؤها عمارتها، وفيه تشجيع على السعي في عمارة الأرض بما ينفع الخلق عمومًا. وفي حديث آخر حثَّ ﷺ على زراعة الأرض وفعل الخير والإصلاح وإعمار الأرض، بما يحفظ للبيئة استمرارها وتوازنها، قال ﷺ: "إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"؛ هنا يحض ﷺ على فعل الخير ونفع الغير، وفي ذلك قيم الإيجابية والمبادرة.

٣- قيم المسؤولية والمحافظة

تنبني قيم المحافظة على البيئة على أصل التكليف الأول، التي تفيد تكليف الإنسان بحمل الأمانة التي عجزت السماوات والأرض عن حملها. وتَحمُّل الإنسان لأمانة عمارة الأرض وإصلاحها، يفرض عليه

hiragate.com

الحفاظ على ما هو موجود في البيئة من نعم وموارد طبيعية وموارد صناعية اقتضتها منه طبيعته الاستخلافية وحاجاته الاجتماعية والمادية.

وأول هذه القيم الخاصة بالمحافظة على البيئة ومسؤولية الإنسان عنها، هي قيمة الأمانة التي تحملها الإنسان، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾(الأحزاب:٧٢)، وهي أمانة حفظ حقوق الله وحقوق العباد، والحفاظ على موارد البيئة، من ضمن حقوق الله تعالى وحقوق الناس على بعضهم البعض أيضًا، لما يتوقف عليه حقهم في الحياة والمأكل والمشرب والمأوى. لقد جعل الله تعالى التكليف وتحمّل المسؤوليات في الأرض، لمن اتصف بحفظ الأمانة.

ومن قيم المحافظة، قيم الإصلاح في الأرض بصفة عامة، ولذلك جعل الله تعالى من صفات المؤمنين الصلاح والإصلاح، وقرن الإيمان بالعمل الصالح، وأمر بالإصلاح ونهى عن الفساد والإفساد، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾(الأعراف:٥٦). وجعل الله مهمة الإنبياء هي الإصلاح، فنبي الله شعيب عليه السلام يقول: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾(هود:٨٨)، والإصلاح يدفع عذاب الله وعقوباته ويجلب الأمن والاستقرار والنعم.

وبالرجوع إلى نصوص السنة النبوية، نجد قيم المحافظة على البيئة، بينة واضحة تفصل ما جاء في القرآن الكريم، ومنها المحافظة على مصادر المياه -خاصة من التلوث- وعدم الإسراف في استعماله، فقد نهى الرسول ﷺ عن تلويث المياه في الحديث فقال: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه".

ونجد في السنة النبوية أيضًا الحفاظ على الحيوان وحمايته في أحاديث كثيرة، منها أن النبي ﷺ مر على نفر من الأنصار يرمون حمامة فقال: "لا تتخذوا الروح غرضًا". وفي المقابل نجد في السنة النبوية الأمر بالحفاظ على الحيوانات والرفق بهم ورحمتهم، فقد جاء أن رسول الله ﷺقال: "بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثري من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له". قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر".

ومن المحافظة على البيئة الحفاظ على الصحة من الأمراض والأسقام، والأوبئة التي تنغص على الإنسان الحياة وتؤثر سلبًا على البيئة، فقد حث النبي ﷺ على الوقاية من الأمراض -وخاصة المعدية منها- فقال: "إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا إليه، فإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه".

لقد تناولنا بعضًا من القيم البيئية في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والنماذج التي ذكرناها في هذا الباب هي غيض من فيض، ومن يستقري هذه النصوص يجدها كثيرة جدًّا وغنية جدًّا، كما نؤكد على أهمية المدخل القيمي في معالجة قضايا البيئة ومشكلاتها المعاصرة، وقد رأينا أن استنطاق هذه النصوص يمدّنا بمجموعة من القيم والمبادئ الموجهة للسلوك البشري القويم. وأن البشرية اليوم تحتاج إلى هذه القيم الدينية، بعد أن جربت المداخل القانونية والزجرية وغيرها.

وهذه القيم تحتاج إلى بيانها وتقديمها للناشئة في المحاضن التربوية، بدءًا من الأسرة إلى المدرسة إلى المجتمع المدني.. لترتبط الأجيال بخالقها فتستمد منه الهداية ويصلح أمرها، وبصلاحها تصلح الأرض بما حوته من موارد بيئية. ■

(*) باحث في الدراسات القرآنية / المغرب.

المراجع

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٧م.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر.

(٣) التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، دار المعارف.

(٥) الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الرؤوف، المناوي، بيروت، دار المعرفة ١٩٧٢.

(٦) وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية ، للشيخ مناع خليل القطان، مجلة البحوث الإسلامية، ع١، سنة ١٣٩٥هـ.

hiragate.com

أ.د. بركات محمد مراد*

التربية المتوازنة
وتكوين شخصية الطفل السوي

يعرف الجميع أن لتربية الطفل وبيئته أثرًا كبيرًا في تكوين شخصيته، بل قد يبالغ البعض منا فينسبون للتربية والبيئة كل شيء يتعلق بالشخصية. وقد أكد علم النفس الحديث هذه الحقيقة، وإن لم يهمل الجوانب الوراثية المختلفة المتعلقة بهذا الموضوع، وتوصل الباحثون إلى كثير من الحقائق المهمة في هذا المجال، ويحسن بنا أن نشير إلى بعضها بإيجاز:

• إن تأثير البيئة يبدأ منذ الأيام الأولى بعد الولادة، بل ويعتقد البعض أن هذا التأثير يبدأ قبل ذلك حين يكون الطفل في بطن أمه. وعدم تذكر الإنسان للحوادث والتجارب التي يمر بها في سنيه الأولى لا يعني عدم تأثيرها على تكوين شخصيته، بل إن حصيلة هذه التجارب تُختزن في الجانب اللاشعوري

من عقل الإنسان، لتشكل القاعدة الأساسية لسلوكه العضوي في المستقبل. وهذا يعني أن علينا أن نهتم بالسنين الأولى من حياة الطفل أيما اهتمام، حتى لا نسيء إلى شخصيته النامية.

• أصبحنا نعرف اليوم تطور الطفل الطبيعي، وكيفية نمو قدراته وإمكاناته الجسمية واليدوية والذكائية والاجتماعية، ومدى الاختلافات الطبيعية بين طفل وآخر، بحيث أصبح من السهل علينا معرفة ما يتوقع من الطفل وما يستطيعه في كل عمر من الأعمار.

• معاملة الطفل السليم وسياسته الحكيمة، هي التي تتماشى مع درجة تطوره والتي تنمي مواهبه وقدراته، بحيث ينتقل من مرحلة الاعتماد الكلّي على الأهل، إلى مرحلة الاستقلال التام بسلام وأمان وبصحة نفسية وجسمية جيدة لا عوج فيها.

ومن هذه المنطلقات نشأ حديثًا ما يسمى بـ"الطب النفسي الوقائي" تمشيًا مع القاعدة العامة بجعل الطب طبًا وقائيًا ما أمكن إلى ذلك سبيلاً. ووضع العلماء نظريات للتربية الوقائية، كما نبّهوا على مواقف الأهل التربوية السيئة، التي إن أزمنت ساعدت على حدوث الانحرافات السلوكية والأمراض النفسية.

ولا ننسى أثر الثقافة وتأثيرها في نمو الأطفال، عقليًا وانفعاليًا وحركيًا واجتماعيًا.. وهذا التأثير لا يتخذ نسبًا واحدة، بل يتباين إلى حد كبير؛ فالبيئة الثقافية لا تؤثر في النمو الجسمي إلا في نطاق محدود، بينما تؤثر تأثيرًا كبيرًا في النمو الانفعالي والاجتماعي.

ففي مجال النمو العقلي الذي يتمثل في الذكاء، وكفاية العمليات العقلية -كالإدراك والتصور والتخيل والتفكير ونمو اللغة- يمكن التدليل على أثر الثقافة فيها من خلال الإشارة إلى ما تفعله هذه الجوانب؛ فالذكاء الذي يرتبط بالنجاح في التكيف مع البيئة الطبيعية والثقافية، والذي يقاس عادة بالقدرة على حل المشكلات أو بقياس ما لدى الطفل من مهارات ترتبط -في الوقت نفسه- بما يتعلمه الإنسان من بيئته الثقافية، إذ يتأثر (الذكاء) بتلك البيئة وبمدى ما تقدمه من عناصر. فالأجواء الاجتماعية التي يحيا فيها الطفل كالأسرة والمدرسة وجماعات اللعب والوسائط التربوية التي يشاهدها ويتمرس بها، ذات تأثير كبير في ذكائه.

أما بالنسبة إلى العمليات العقلية المعرفية، فإنها تتأثر جميعًا بالحيز الثقافي وما يهيئه للأطفال من ظروف، حيث إن ما يكتسبه الطفل من خبرات ومهارات، تفعل فعلها في رسم العوالم الإدراكية للأطفال وفي توجيه تخيلاتهم نحو الإنشاء أو الهدم، وكذلك في تحديد أنماط ومجالات تفكيرهم، لذا يمكن أن تكون البيئة الثقافية عاملاً من عوامل إنضاج ذكاء الأطفال وعملياتهم العقلية أو عوامل كبت لها، إذ إن القدرات العقلية والعمليات المعرفية هي خصائص طيّعة (أي قابلة للتغير)، لذا يمكن للمجتمع أن يطفئها فتخمد، أو يلهبها فتنمو.

وفي مجال النمو الانفعالي الذي يعني مستويات النضج المتمثلة في قدرة الطفل على استخدام انفعالاته استخدامًا بنّاء، فإن الثقافة تلعب دورها الكبير في ذلك؛ فالانفعالات هي ظواهر نفسية اعتيادية، ولكنها تميل إلى الانحراف عندما تنحو إلى ما يسمى بـ"الاضطراب الانفعالي"، وعندما تؤول الاستجابات إلى ما هو غير متناسق.

لا شك أن الطفل يتخذ من عواطفه معيارًا يقيّم على أساسه بعض المواقف أو الأشياء أو الأشخاص في الغالب، حيث إن العواطف تقوم على أساس شخصي لا عقلي، وكذا الحال بالنسبة إلى الميول، أما الاتجاهات النفسية التي تمثل حالة استعداد ذهني نحو الأشياء أو الأشخاص أو الأفكار، فإنها هي الأخرى تُكتسب من البيئة عن طريق الخبرة والتعلم، وهي تؤثر في سلوك الطفل بما في ذلك إدراكه لما حوله من مثيرات ثقافية واجتماعية.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ما يكتنف الثقافة من ظروف غير اعتيادية -كالقوة أو الخوف الشديد أو القلق- تؤثر تأثيرًا سالبًا في النمو الانفعالي للأطفال، لذا فإن وسائل ثقافة الأطفال تعمل على إبعاد شبح هذه الظروف عن الأطفال. أما بالنسبة إلى علاقة الثقافة بالنمو الاجتماعي للطفل، فيمكن القول إنه ما دام الطفل يحيا في ثقافة اجتماعية قوامها الوحدات الاجتماعية الأولية المتمثلة في الأسرة والجيران وجماعات اللعب والوحدات الاجتماعية الثانوية المتمثلة بالمدرسة وغيرها من مكوِّنات المجتمع.. فإن الطفل يتفاعل مع مفردات هذه الوحدات، ويكتسب بعض عاداتها وقيمها

hiragate.com

hiragate.com

ومعاييرها وأفكارها وأوجه سلوكها الأخرى، مما ينقله إلى كائن اجتماعي سوي.

ونتوقف هنا عند بعض القواعد والتوجيهات النفسية والتربوية ذات التأثير الإيجابي الكبير على تكامل ونمو شخصية الطفل، وينبغي للآباء مراعاتها دائمًا لتنشئة طفل متوازن انفعاليًّا ووجدانيًّا، ومن أهم هذه القواعد:

١- الاتفاق على نهج تربوي موحد بين الوالدين

إن الطفل هو صنيعة والديه، فعلى الوالدين أن يلتزما بقواعد سلوكية تساعد الطفل على أن ينشأ في توازن نفسي.

إن نمو الأولاد نموًّا انفعاليًّا سليمًا، وتناغمَ تكيفهم الاجتماعي، يتقرران -ولحد بعيد- بدرجة اتفاق الوالدين وتوحد أهدافهما في تدبير شؤون أطفالهم. ولذلك على الوالدين إعادة تقويم ما يجب أن يتصرفا به حيال سلوك الطفل، ويزيدا من اتصالهما ببعضهما البعض خصوصًا في بعض المواقف السلوكية الحساسة. فالطفل يحتاج إلى قناعة بوجود انسجام وتوافق بين أبويه، كذلك شعور الطفل بالحب والاهتمام، يسهّل عملية الاتصال والأخذ بالنصائح التي يسديها الوالدان إليه.

وبالتالي، يجب على الوالدين رسم خطة موحدة لما يرغبان أن يكون عليه سلوك الطفل وتصرفاته، لذلك شجِّعْ طفلك بقدر الإمكان على الإسهام معك عندما تضع قواعد السلوك الخاصة به، وخاصة حين يكون مدركًا لذلك وواعيًا به، أو حين تعديلها، فمن خلال هذه المشاركة يحس الطفل أن عليه احترام ما تم الاتفاق عليه، لأنه أسهم في صنع القرار.

كما أن على الأبوين عدم وصف الطفل بـ"الطفل السيئ" عندما يخرج عن هذه القواعد ويتحداها. فسلوكه السيئ هو الذي توجَّه إليه التهمة وليس الطفل لئلا يحس أنه مرفوض لشخصه، مما يؤثّر في تكامل نمو شخصيته مستقبلاً وتكيفه الاجتماعي، ولذلك لا بد من توفير الوقت الكافي للاعتناء بالطفل ومشاركته في اهتماماته وألعابه، بما يتناسب وتطوره العقلي والنفسي. فالطفل بحاجة ماسة إلى ذلك، ويجد متعة كبيرة في ملاعبة أهله له فيأنس بهم ويتعلم منهم السلوك الواجب اتباعه مع الآخرين، كما يتعود عقد صلات الصداقة الطيبة مع الآخرين.

إن نمو الأولاد نموًّا انفعاليًّا سليمًا، وتناغمَ تكيفهم الاجتماعي، يتقرران بدرجة اتفاق الوالدين وتوحد أهدافهما في تدبير شؤون أطفالهم. ولذلك على الوالدين إعادة تقويم ما يجب أن يتصرفا به حيال سلوك الطفل.

٢- التدليل وفرط الحماية

يتمثل التدليل في تشجيع الطفل على تحقيق منظم لرغباته الملحة وغير الملحة في التو واللحظة دون تأجيل، وقد يتضمن التدليل تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك قد نعتبرها معيبة، أو من الأساليب السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعيًّا، وقد يتضمن أيضًا دفاع الأب عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوبة فيها، ضد أي توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الداخل أو الخارج.

والطفل المدلل ينمو ضعيف الشخصية، يعتمد على الغير، وغالبًا ما يسهل استثارته واستمالته للفساد، كما يتسم بعدم الاستقرار على حال، وعدم النضج الانفعالي.. ويتسم أيضًا بانخفاض قوة "الأنا" وتقبل الإحباط، وهذه بالطبع مؤشرات دالة على انخفاض الصحة النفسية. وكما أن من حق الطفل أن تلبى طلباته وبسرعة في السنة الأولى من العمر، لأنه لا يدرك حقائق الأشياء، ولا يعي متطلبات الظروف، ولأنه لا يطيق صبرًا على الحرمان أو عدم الاستجابة، فيبكي لأتفه الأسباب ولأقل حرمان، لكن من الواجب ومن تمام محبة الطفل، أن تعوده من مطلع السنة الثانية من عمره، بالتدرج وبالشكل المتوافق مع درجة نموه وفهمه.

ولذلك ومع تقدم الطفل في السن، يتمادى في غيه ولا تنضج شخصيته بالشكل السوى، ويتعود الخضوع لرغباته ونزواته الابتدائية، أو بالأحرى يصبح أسيرًا لها بعد أن عوده أهله الخضوع لرغباته غير الناضجة وغير المتوافقة مع سنه، والنتيجة هو أن يصبح الطفل نزوانيًّا

hiragate.com

غير مكترث بالآخرين، عجولاً سريع الغضب في حال عدم تلبية رغباته.

٣- عدم الإفراط في العقاب

وهذا الموقف كثير المشاهدة في البيئات المتأخرة خاصة، أي معاقبة الطفل على كل خطأ كبير أو صغير وبشدة لا تتناسب مع درجة الخطأ، بل قد يكون الخطأ نتيجة عدم نضج الطفل وعدم إدراكه لنتيجة تصرفه، وفي هذه الحال لا تجوز المعاقبة، بل الواجب تنبيه الطفل وإرشاده إلى طريق الصواب، وأما في حال تكرار الخطأ وتعمده رغم التنبيه الكافي ورغم نضج الطفل، فيجب المعاقبة ولكن بشروط معينة؛ فالعقاب يجب أن يتناسب مع درجة تطور الطفل، وأن يكون المقصود منه واضحًا للطفل، وأن يتوقع منه أن يكون مجديًا، وأن لا يترافق بالانفعالات الشديدة، وأن يكون هدفه الواضح للطفل هو مصلحة الغير أو مصلحته التي يجب المحافظة عليها، لا حب الانتقام أو التشفّي أو التفريج عن الكبت، أو التعبير عن كراهية أو حقد له ولو من وجهة نظر الطفل.

إن استجابة الطفل لكثرة العقاب هو الشعور بالخوف والتردد، والشعور بالضعف والنقص والعودة للسلوك المستدعي للعقاب، مما يترتب عليه إذا استمر انتقاص الذات وتشكل مركب النقص عنده.

٤- طلب الكمال

ويقصد به مطالبة الطفل بإنجازات على درجة من المهارة والإتقان هي أعلى من مستواه وقدراته العقلية وإمكاناته الجسدية، وهذا الموقف الخاطئ كثير المصادفة إن لم نقل إنه عام، ولكن على درجات متفاوته، ويقف الأهل هذا الموقف بدافع من حرصهم على تفوق ابنهم وسرعة نضجه. ونلاحظ أن الأمهات يردْنَ لأولادهنَّ التفوق على بقية الأولاد في كل شيء أو مجاراتهم على الأقل، ويشعرن بالغيرة في حالة تقصير أولادهنَّ هذا إن لم يبلغ بهنَّ الحال إلى درجة الحزن والقلق والإحباط.

وفي مثل هذه الظروف يستجيب الطفل ببذل الجهود والطاقة، ويبدي اهتمامًا ذهنيًا زائدًا لتحسين سلوكه وإنجازاته، ولكن حين لا يدرك المستوى المطلوب يبدأ بانتقاص نفسه، ويبدأ مركب النقص بالتشكل عنده.

٥- الإفراط في التوجيه

ويقصد بذلك زيادة مراقبة الطفل وتوجيهه أو إعطائه الأوامر في كل كبيرة وصغيرة، فلا يترك الأهل لطفلهم حرية التصرف أو المبادرة أو إنجاز الأعمال بالطريقة التي يريدها، بل يتدخلون -وبشكل غير معقول- في حياة طفلهم أو يافعهم في سلوكه وأعماله رغم أنه أصبح في غنى عن توجيههم، أو أن له الحق في التصرف بشكل آخر غير الذي يرونه هم ليتعلم من تجاربه وأخطائه.

إن الطفل لا يستطيع فكاكًا من أهله بطبيعة الحال، فلذا نراه يستجيب تجاه هذا الموقف المرضي بالتخاذل والاعتماد على التوجيه الخارجي، وبالمماطلة والتردد والنسيان، أو على العكس من ذلك بالتمرد والعصيان والعناد، أي إن استجابة الطفل تكون بالمقاومة الخفية أو بالمقاومة الظاهرة.

٦- التساهل والإهمال

قد يقاسي بعض الآباء في مطلع حياتهم من الأساليب اللاتربوية التي كانوا يُعامَلون بها في أسرهم من ظلم واستبداد، الأمر الذي يؤلمهم فيكبتونه كخبرة سيئة، وعندما يتشكك هؤلاء الآباء في قيمة النظام والسلطة، فيتركون أطفالهم يفعلون ما يشاؤون بلا ضابط أو رابط، فيؤدي هذا إلى تنشئة أطفال لا يحفلون بمراعاة القواعد والأصول، سواء داخل المنزل أو خارجه.

أما الإهمال فهو يتمثل في ترك الطفل دون تشجيع من والديه -وخاصة الأب- على أي سلوك مرغوب فيه أتى به، أو دون محاسبة على أي سلوك غير مرغوب فيه فعله وقام به، هذا بالإضافة إلى تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكيات، أو ما لا يفعله.

ومن هنا يتبين أهمية التوازن في تربية الطفل وتنشئته، وكذلك أهمية الانضباط، والذي يعني تعليمه السيطرة على ذاته وسلوكه السلوك المناسب والمقبول. وبذلك يتعلم الطفل احترام ذاته، والسيطرة عليها من خلال تلقي الحب والانضباط من جانبك. ■

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

hiragate.com

د. علي ساموه*

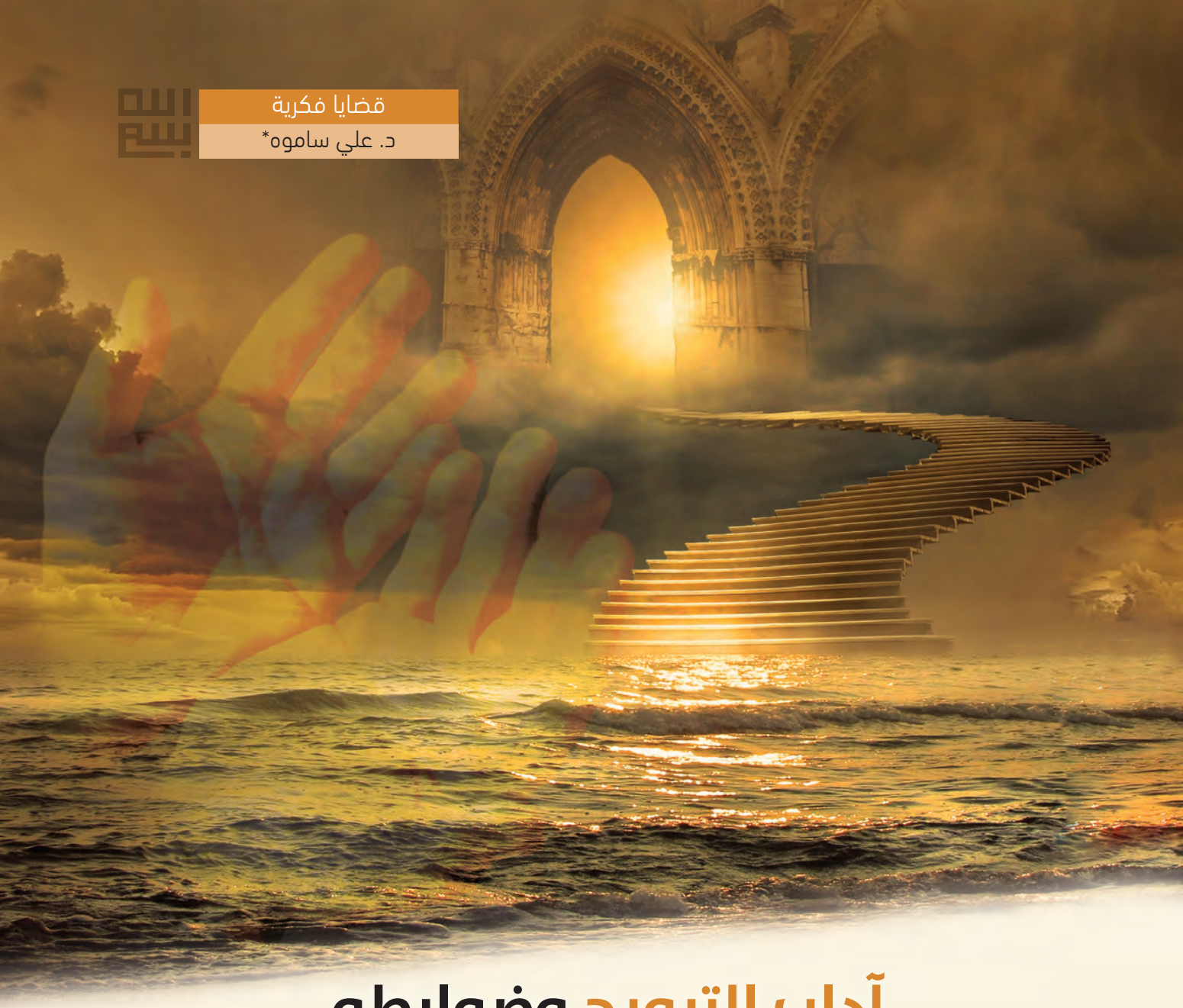

آداب الترويح وضوابطه

إن الترويح أمر مشروع، لأن النفس البشرية جُبلت على حب الراحة بعد عناء العمل ومشقته، والإسلام دين يراعي الفطرة الإنسانية. وغير خافٍ أن النفس البشرية متعددة الطبائع، متنوعة السلوك، مختلفة السجايا.. فهي في بعض الأحايين تحب الجد والحزم، وفي فترات أخرى تميل إلى الدعة واللطافة، كما أنها في بعض الفترات تراها فرحة جَذِلة، وفي ساعات أخرى تراها غضبى أسِفَة، فهي بين خطين مختلفين، ودائرة بين مزاجين متضادين.

ومن هنا فإن الإسلام جاء ملبيًا لحاجات النفس المتعددة، ومراعيًا لمتطلباتها المختلفة، فشرع ألوان الترفيه والترويح التي من شأنها نفي السآمة وطرد الملل عن النفس وفق ضوابط شرعية.

هناك تعريفات كثيرة لمفهوم الترويح، ومن تلك التعريفات: الترويح هو النشاط الذي يريح من عناء العمل، وغالبًا ما ينتج عن تغيير وتسلية، وفيه إحياء للقدرة على العمل. وقيل هو نشاط تلقائي مقصود لذاته وليس للكسب المادي، ويمارس في وقت الفراغ لتنمية ملكات الفرد رياضيًّا واجتماعيًّا وذهنيًّا. وقيل هو نشاط هادف وممتع لإنسان، ويمارسه اختياريًّا وبرغبة ذاتية وبوسائل وأشكال عديدة مباحة شرعًا، ويتم غالبًا في أوقات الفراغ.

ويمكننا أن نكيّف مفهوم الترويح بين العبادات على ضوء التعريفات السابقة، أنه النشاط الهادف الذي يمارسه الإنسان وفق الضوابط الشرعية ليتقوى بها على العبادة.

ألمح القرآن الكريم إلى أهمية الترويح عمومًا -سواء كان الترويح بين العبادات أم غيرها من الأعمال- في عدة مواضع منها:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾(القصص:٧٧)؛ وجاء في تفسير ابن كثير رحمه الله: "أي افعل الخير فيها من أصناف الواجب والمندوب، وتزود من الآخرة، ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾(القصص:٧٧)، أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزَوْرِك عليك حقًّا، فآت كل ذي حق حقه"(١).

وجاء في الحديث الصحيح: أن حنظلة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله: "وما ذاك؟" قال: يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، إن لو تَدُومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتْكُم الملائكة على فُرُشِكم، وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (ثلاث مرات)" (رواه مسلم).

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(البقرة:١٧٢)؛ في هذه الآية أَمَر اللهُ المؤمنين "بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه"(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾(الإسراء:١٢)؛ يقول السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾، أي دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحمته، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾، أي جعلناه مظلمًا للسكون فيه والراحة ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة، ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي معايشكم وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم"(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾(النبأ:١٠-١١). قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أي قطعًا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار".

والآيات الثلاث السابقات فيها إلماحة إلى أهمية أخذ الإنسان الراحة البدنية بما يقوي نفسه على العبادة والعمل، واستعادة الحيوية والنشاط؛ ولذا جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه قال: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: "أَلَمْ أُخْبَرْ أنكَ تصوم النهار وتقوم الليل؟" قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم وَنَم، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لِزَوْرِك عليك حقًّا، وإن بِحَسْبِك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشرَ أمثالها، فإذا ذلك صيامُ الدهر كلِّه"، فشدَّدْتُ فشدَّد عليَّ، قلت: يا رسول الله، إني أجِدُ قوةً، قال: "فصُمْ صيام نبي الله داود ولا تزد عليه"، قلت: وما صيام نبي الله داود؟ قال: "نصف الدهر"، فكان عبد الله يقول بعد ما كَبِر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ. (رواه البخاري)

الترويح وأثره في تقويم العبادة

من المعلوم أن المؤمن إذا مارس العبادة وأدَّاها قد ينتابه بعض من الجَهد، فإذا روَّح على نفسه بالترفيه المباح،

hiragate.com

رجع إلى فعل الطاعات بنفسٍ نشطة وصدرٍ رحب وعَزْم قوي.. لذا فلا بد من مراعاة الترويح المباح بين كل عبادة حتى يكون فاعلاً في النفس نحو الاستمرارية في العبادات.

فعن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة"[٤].

ولأهمية الترويح بيّن العلماء بعض النماذج التي تتروَّح بها النفس، يقول ابن جماعة: "ولا بأس أن يريح نفسه... بتنزّه وتفرج في المستنزهات، بحيث يعود إلى حاله ولا يضيِّع عليه زمانه، ولا بأس بمعاناة المشي ورياضة البدن به، فقد قيل إنه ينعش الحرارة ويذيب فضول الأخلاط وينشط البدن"[٥].

الضوابط المعينة على الترويح

من الأسباب والتطبيقات المعينة على الترويح المباح:

١- مراعاة أوقات الترويح المباح: وهي ألاّ يكون الترويح في الوقت المخصص لحقوق الله تعالى أو حقوق الناس، وكذلك لا ترويح في أوقات العمل الرسمي، إذ فيه اعتداء على حقوق الناس.

وعدم الإفراط في تخصيص معظم الأوقات المباحة للترويح، فالاعتدال والتوسط سمة أساسية في هذا الدين.

٢- مراعاة أمكنة الترويح وأخلاقياته: وهي كالآتي:

أ- اختيار المكان المناسب للترويح حسب نوع الترويح، فما يصلح في الساحات العامة قد لا يصلح في المنزل، والعكس صحيح.

ب- عدم إلحاق الأذى بذات المكان أو منشآته، فأمكنة الترويح حق مشترك بين جميع الناس.

جـ- عدم مضايقة المقيمين أو العابرين بمكان الترويح، وهذا ينطبق على الخلاء والساحات العامة.

٣- مراعاة النشاط الترويحي المباح: وهو الذي لا يصاحبه شيء من المحرمات.

٤- استحضار النية الحسنة: وذلك بأن يقصد المسلم بالترويح التقوِّي على العبادة واستعادة النشاط، حتى يكون ترفيهه وترويحه لا يخرج عن إطار العبادات،

إن التوازن الدقيق في تحقيق العبودية لله ﷻ بين فعل الطاعات والترويح، يحقق الشمولية والوسطية في أداء العبادات، وبذلك تثمر عبودية كاملة للخالق، بحيث لا يطغى جانب على آخر.

فإنه مطلوب أن تكون حياته كلها في عبادة الله تعالى، قال بعض السلف: "إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب"[٦].

جملة القول

إن التوازن الدقيق في تحقيق العبودية لله ﷻ بين فعل الطاعات والترويح، يحقق الشمولية والوسطية في أداء العبادات، وبذلك تثمر عبودية كاملة للخالق، بحيث لا يطغى جانب على آخر.. فالعبودية ليست مشاعر تعبدية فحسب، بل العبودية شاملة لحياة الإنسان كلها، فإذا أدى عبادة باقتصاد واستمر عليها، أمكنه ذلك أن يأتي ببقية الواجبات المفروضة عليه، ثم إن الترويح بين العبادات يجعلها ميسَّرة مقبولة لدى النفس البشرية، فلا مشقة ولا نصب فيها، وفي المقابل لا إفراط في سهولتها بالدرجة التي تجعل النفس تتهاون في أمرها، وتهمل القيام بحقها. وبذلك يتبين خطأ غلو بعض العُبَّاد الذين لا يرون في الحياة إلا الجد المُرهِق والعمل المتواصل، دون النظر إلى شؤون الدنيا من التكسب للمعيشة وترويح النفس بالحلال، فيضيّعون من يعولون، ويُفوّتون حق أنفسهم، ولربما لا يستمرون على ذلك، لأن النفس جبلت على طلب الراحة والميل إلى الترويح. ■

(*) كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونكلا فطاني / تايلاند.

الهوامش

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص:١١٠٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:٨٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي ص:٤٥٤.

(٤) الآداب الشرعية، لابن مفلح، ٢/٢٠٣.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، ص:٤٠٥.

(٦) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص:١٣.

hiragate.com

د. محمد الدرداري*

مبدأ الاستخلاف في المال
وأثره في حل المشاكل الاجتماعية

مما لا شك فيه أن الإسلام دين متكامل وشامل، يتجلى ذلك في تغطية أحكامه وتشريعاته لكل مناحي حياة الإنسان، فهو يخاطبه في نطاق تلبية حوائجه المختلفة، الروحية والمادية والنفسية والعاطفية وغيرها.. وهي رؤية قلَّما توجد في غيره من الفلسفات أو الأديان الأخرى. وانطلاقًا من ذلك، كان الإسلام دين الفطرة السوية، والرؤية الواضحة التي تمنح الإنسان فهمًا عميقًا لمكونات هذا الوجود، وتحدد له نمط التحرك المنسجم مع دوره الاستخلافي في هذا الكون الفسيح.

والمتأمل في حال الأمة الإسلامية في وقتنا الراهن، وما تعانيه من آفات اقتصادية كالركود والتضخم والغلاء، وآفات اجتماعية كالفقر والبطالة والفوارق الطبقية، يدرك بأن

هذا الوضع هو حصيلة لانحرافات وقع فيها المسلمون. وبدلاً من أن تبادر الأمة إلى البحث عن علاج ناجع لهذه الآفات في ظل الرؤية الإسلامية المتسمة بالتكامل والشمول، نجدها تمعن في تبعيتها للآخر من خلال استقدام الحلول من الشرق أحيانًا، ومن الغرب أحايين أخرى.

لقد حدد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سبل معالجة هذه الأزمات والحد من خطورتها، ومن هذه السبل تفعيل مبدأ الاستخلاف في المال الذي ينظم علاقة الإنسان بالثروة، ويهذب غريزة التملك لديه، ويجعل المال في يده وسيلة لقضاء المصالح والحاجات لا غاية في حد ذاته.

مفهوم الاستخلاف في المال

يرتبط مفهوم الاستخلاف في المال بمعنى أعمّ وأشمل وهو استخلاف الإنسان في الأرض، والاستخلاف في الأرض يعني أن الله تعالى مكّن لعباده فيها، وأتاح لهم العيش فوقها من أجل الاشتغال بإعمارها وإصلاحها والانتفاع بخيراتها، وذلك في إطار ما هو مأذون به شرعًا، وضمن هذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:٣٠).

أما الاستخلاف في المال، فهو أحد الأصول الكبرى التي تنبني عليها النظرية الاقتصادية الإسلامية، والمراد به أنه ما دام الإنسان نائبًا ووكيلاً عن الله فيما بين يديه من أموال وثروات، فيجب عليه -إذن- تنفيذ مراده وإجراء أحكامه فيها. وعليه، فالمال في ظل هذا المبدأ مال الله، والإنسان مستخلف فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(الحديد:٧)، يقول الإمام الزمخشري في "الكشاف": "يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما ولاّكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب".

مفاهيم يصححها مبدأ الاستخلاف في المال

١- مفهوم المِلكية: إن هذا المبدأ يستند على حقيقة أن

إن التصور الإسلامي في مجال الأموال، يسمو بالإنسان من الفردانية المقيتة القائمة على الاحتكار والاستغلال وتقديس الثروة، إلى المشاركة في سد ثغرات المجتمع، من خلال إشاعة روح التعاون والتضامن المفضيان إلى تحقيق الكفاية والتوزيع العادل للثروات.

حراء

المال مال الله، فالله هو المالك الحقيقي والأصلي لما في أيدي الإنسان، وهذا الأخير لا يعدو أن يكون وكيلاً ونائبًا وخليفة عنه، يؤكد هذا نسبة الله تعالى المال إليه في مواطن عدة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(النور:٣٣).

٢- مفهوم التصرف: إن تصرف الإنسان في ظل هذا المبدأ محكوم بتوجيهات رب المال (وهو الله)، سواء في الكسب والتحصيل أو الإنفاق والصرف أو الاستثمار، وهو مسؤول عن ذلك بين يدي الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "لا تزول قدمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه" (رواه الترمذي)، وقوله ﷺ "وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه" دليل على أن الإنسان يُسأل عن ماله يوم القيامة، ويحاسب على تصرفه فيه، بالإحسان إن أحسن، وبالإساءة إن أساء.

٣- الملكية الخاصة أو الملكية الفردية: ويقصد بها حق الأفراد أو المؤسسات في تملك الأموال أو وسائل الإنتاج دون حجر أو تضييق، غير أن مبدأ الاستخلاف في المال في التصور الإسلامي، لا يقر هذا الحق بإطلاق كما هو الحال في النظام الرأسمالي، بل إنه قيد ذلك بعدم الإضرار بمصالح الجماعة، وعليه فالملكية الفردية في ظل هذا التصور، لها وظيفة اجتماعية.

٤- المال بين كونه زينةَ الحياة وقوامَها، وكونه فتنة وشهوة: قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف:٤٦)، وقوله أيضًا: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(النساء:٥)، وفي المقابل يقول جل وعلا: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

hiragate.com

فِتْنَةٌ﴾(التغابن:١٥). ووجه التوفيق بينها يمكن تلمسه في ظل هذا المبدأ، فالذي يُحصِّل المال ويستثمرُه وينفقه مستحضرًا توجيهات مالكه الأصلي (وهو الله)، يكون هذا المال زينة حياته وقوامها، والذي يُهمِل ذلك ويقصر فيه، فهو فتنة لصاحبه في الدنيا وسبب لشقائه في الآخرة.

بين الثروة ورأس المال

إن مبدأ الاستخلاف في المال، يُحتِم علينا أن ندبر مقدراتنا المالية في إطار رأس المال المتحرك المنتِج، الذي يولد نشاطًا اقتصاديًّا من خلال الاستثمار، وخلق المشاريع المنتجة التي تمتص العطالة، وتوفر فرص الشغل للشباب من خلال اندماجهم في محيطهم الاقتصادي المفعم بالإنتاج والحركية.

وفي ضوء هذا المعنى ينبغي فهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(التوبة:٣٤)، وإذا كان المفسرون القدامى قد فسروا الكنز بالمال الذي لم تؤدَّ زكاته، فإننا نجد من المعاصرين من توسع في ذلك ليشمل المال الجامد الذي لم يدفع به أصحابه إلى سوق العمل من أجل تنميته واستثماره حتى يستفيد منه المجتمع كله، يقول مجدي عبد الفتاح سليمان: "والاكتناز في الفكر الإسلامي يشمل منع الزكاة وحبس المال، فإذا خرج منه الواجب لم يبق كنزًا، والواجب من وجهة نظرنا يشمل الزكاة والإنفاق والاستثمار، فلا يخرج المال من دائرة الاكتناز إلا إذا تم إخراج الواجب أي الزكاة، العفو، النفقات، الصدقات، مداومة الاستثمار. والإسلام لم يقف في محاربة الكنز عند حد التحريم والوعيد الشديد، بل خطا خطوة عملية لها قيمتها وأثرها في تحريك النقود المكنوزة، وإخراجها من مكانها لتقوم بدورها في إنعاش الاقتصاد"[١].

ولقد أثبت الواقع في الفترة الراهنة، بأن مشكلة الأمة ليست متعلقة بالمال من حيث نقصه أو عدمه، ولكن جوهر المشكلة هو عجزنا أو عدم رغبتنا في جعل ما نملك في خانة "رأس مال"، والاكتفاء بجعل علاقتنا به منحصرة في خانة "الثروة"، ومعنى هذا أن الاستفادة من أموال الأمة تبقى مقتصرة على أصحاب الثروات الجامدة، وأن الحل كما يقول الأستاذ مالك بن نبي: "ليس في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة "البسيطة"[٢]، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة، إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد"[٣]. والعمل بهذا المنهج سيجعلنا نحقق مراد الله تعالى في قوله: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾(الحشر:٧).

إن استثمار الأموال وفق هذا النهج، سيتيح لأفراد الأمة جميعًا المشاركة في تحمل مسؤوليات البناء والتنمية والابتعاد عن روح الخمول والكسل، ولعل هذا من أهم المقاصد التي يسعى مبدأ الاستخلاف في المال إلى تحقيقها.

السبيل لتحقيق التكافل الاجتماعي

إن تفعيل مبدأ الاستخلاف في المال بالمفهوم الذي ذكرنا سالفًا، لا بد وأن يؤدي إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة، وذلك من خلال إشراك أفراد المجتمع في الانتفاع بالثروة بشكل عادل حتى لا تتركز في يد فئة قليلة. ومن أجل ذلك رغب الإسلام في الصدقة التطوعية وحث عليها، ووعد المتصدقين بالأجر العظيم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٦١).

hiragate.com

والصدقة التطوعية تأتي من أجل سد الفراغ الذي قد تتركه الزكاة في حال عدم قيامها بحاجات المحتاجين، والزكاة هي الوسيلة الشرعية التي تضمن إشراك الفقراء والمساكين في أموال الأمة، بالإضافة إلى تلبية حاجيات أخرى كتشغيل العاطلين، وقضاء الديون، وإقامة المؤسسات والمشاريع المختلفة، ومحاربة اكتناز الثروة والتشجيع على استثمارها.

كما أن الدولة الإسلامية في نطاق قيامها بواجبها تجاه الرعية، مطالبة بمراعاة أحوالهم والسهر عليها بما يضمن الكفاية للجميع ولو أدى الأمر إلى أن يتساوى الجميع في حد الكفاف. وفي هذا المعنى قال الرسول ﷺ: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم في المدينة، حملوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم" (رواه مسلم).

ويقول الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ: "إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف"[٤].

إن التصور الإسلامي في مجال الأموال، يسمو بالإنسان من الفردانية المقيتة القائمة على الاحتكار والاستغلال وتقديس الثروة، إلى المشاركة في سد ثغرات المجتمع، من خلال إشاعة روح التعاون والتضامن المفضيان إلى تحقيق الكفاية والتوزيع العادل للثروات.

التاريخ يتحدث

لقد مرت الأمة الإسلامية بمحطات مشرقة عكست مدى نجاعة الحل الإسلامي القائم على تطبيق مبدأ الاستخلاف في المال، ليس فقط على مستوى التوزيع العادل لمقدرات الأمة، بل على مستوى تنمية الإنتاج أصلاً.

فقد كتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى واليه عبد الحميد -وهو بالعراق- أن: "أخرج للناس أعطياتهم"، فكتب إليه عبد الحميد: "إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال!" فكتب إليه أن: "انظر كل من ادّان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه"، فكتب إليه واليه: "إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال!" فكتب إليه أن: "انظر كل بكر ليس

إن تفعيل مبدأ الاستخلاف في المال، لا بد وأن يؤدي إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة، وذلك من خلال إشراك أفراد المجتمع في الانتفاع بالثروة بشكل عادل حتى لا تتركز في يد فئة قليلة، ومن أجل ذلك رغب الإسلام في الصدقة التطوعية.

له مال، فشاء أن تزوجه وأصدق عنه"، فكتب إليه: "إني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت المال مال!" فكتب إليه عمر أن: "انظر من كانت عليه جزية، فضعف عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام ولا عامين"[٥].

إن وفرة المال بهذه الصورة في بيت مال المسلمين، واستعمالَه في سد حاجات الناس الضرورية وحتى الكمالية، بل وتخصيص جزء منه لإقراض من ضعف عن إصلاح أرضه وحرثها.. إن هذا كله لا يمكن أن نفهمه أو نطمح إلى تحقيقه مرة أخرى، إلا في ظل تنفيذ الإنسان لمراد الله تعالى في المال كسبًا وإنفاقًا واستثمارًا. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

(١) دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي، لمجدي عبد الفتاح سليمان، مجلة الوعي الاسلامي، عدد:٤٤٥، السنة:٣٩ رمضان١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) في هذه الفترة كانت أموال الأمة لا زالت بسيطة وقليلة، إذ إن هذا الكلام كتبه ملك بن نبي سنة ١٩٤٨، أما الآن فالوضع اختلف كثيرًا.

(٣) شروط النهضة، لمالك بن نبي، دار الفكر دمشق دون طبعة، ١٩٨٦، ص:١١٢-١١٣.

(٤) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، للدكتور محمد سهيل طقوش، ص:٣٥١، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٥) منهج الاقتصاد الإسلامي في إنتاج الثروة، لأحمد لسان الحق، ج١، ص:٢٣٩، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، ١٤٠٨هـ.

hiragate.com

صفاء عزمون*

الإنسان مغترب رحّال هبط إلى الدنيا في "رحلة" شاقة عبر "طريق" طويل محفوف بالمخاطر والويلات ليكتشف ذاته ويعرف حقيقته.

الموازين

هل نعرف الله؟

عندما يُغرِقني الطين في أوحاله وأنسى لِمَ أنا هنا؟ يأتيني سؤال من الأعماق: "هل تعرفين الله"؟ لا أجيبه هربًا من الحقيقة أو ربما خوفًا منها، لكن هذا الصوت لا يكفّ عن إلحاحه ليسألني مرة أخرى: "هل تحبين الله"؟ سؤاله هذا يجعلني أتوقف بذهول: "وهل في ذلك شك"؟ لكن ما الدليل؟ وكيف أجيب هذا الصوت؟ كيف أقنعه أني فعلاً أحِبُّ الله وهو يراني أخالف أوامره! كيف يكون الجواب "نعم" وأنا قد تُهتُ عن الطريق؟

لعلي لست وحدي من يتلقى هذا السؤال العسير، ولعلي أيضًا لست وحدي من يتردد ويَعجَز أن يجيب عنه بوضوح، ليس جهلاً لكن حيرة بين ما يعتقد أنه من البديهيات، وما يراه من نفسه من

المخالفات. هل تُرانا نعرف ما معنى "أن نحِب الله" حقا؟ هل حبُّنا هذا يرقى ليكون واقعًا ويَخرج من خانة الادعاء؟ هل في قلوبنا مكان لهذا الحب؟ أم أننا غلفناها بهوى الدنيا فآثر ذلك الحب أن يرحل عنا ويتركنا تائهين في ضباب الضياع والبؤس؟ ما نحن فاعلوه عندما يتعارض ما نحبه وما يحبه الله؟ هل تُرانا نتلقف الفتنة لا نتريث بها إلا قليلا؟ أم أننا نرقى لنكون ممن يهديهم الحب سواء السبيل فتتوقف حساباتنا الدنيوية، وتُمحى أنانيتنا الطينية ونُؤْثِر حب الله سبحانه على ما تشتهيه الأنفس؟

هل نحب الله فعلا؟ فيشغلنا ذكره عن ذكر غيره نخاف حقًّا غضبه وإعراضه؟ هل أقصى همومنا إرضاؤه؟ أم أن "حب الله" كلمات لا تتجاوز الشفاه.. المحب لا يتحايل هروبًا ممن يحب.. المحب لا تعجزه أوامر من يحب.. المحب يُفنِي أنفاسه قربة لمن يحب.. هل تُرانا مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل هذا الحب؟ هل يستغرق هذا الحب كل أحاسيسنا؟ الحب الحقيقي يشغل القلب والعقل واللسان فترى المحب "لله وبالله ومع الله" كما قال الجنيد رحمه الله. على كل منا أن يخلو بنفسه ويعيد ترتيب أوراقه المبعثرة، فقد ضل أكثرنا الطريق؛ طريق المحبة فأكثرُنا لا يعرف الله سبحانه.

عندما سئلتُ "هل تعرف الله؟" ظننت للوهلة الأولى أن الجواب سيكون "نعم بلا شك، ومَن لا يعرف الله؟" لكن عندما ألقيت نظرة على أعمالي، رأيت أن الجواب ليس بتلك السهولة. هل أعرف عندما يعتريني الضعف أن الله هو القوي فألوذ به؟ هل أعرف عندما تتكالب علي الذنوب وتضيق أمامي الأُفُق أنه هو الحليم الرحيم لأُنِيب سريعًا إليه؟ هل أعرف عندما تأخذني العزة بالإثم وأظلم من هو أضعف مني أنه جبَّار منتقم فأكف عن بطشي؟ ما الفرق بيني وبين الجاهل إن لم تحملني المعرفة على الفعل الصحيح؟ فكما قيل: "ينادي العِلْم العمل فإن أجابه وإلا ارتحل".

بين حقيقة الواقع المؤلمة، وأحلام الوهم الجميلة التي نُغَيِّب فيها عقولنا، نضيع في هذه الحياة عندما يختل ميزان أولوياتنا وتخطئ حساباتنا عندما ننسى الحكمة من وجودنا، يصير سيرنا في الحياة خبط عشواء.

ما معنى أن نحب الله؟ ما معنى أن نعرف الله؟

لا يحق للقلب أن يَدَّعي الحب ثم يُعْرِض عن محبوبه، أن يَدَّعي الحب ويخالف محبوبه، أن يَدَّعي الحب وينسى محبوبه.. الحب تترجمه الجوارح، فيمشي المرء بحب ويتكلم بحب وينظر بحب.

هذه الكلمات الثقيلة هي ما ترسم طريقنا في هذه الحياة، أن تحِب وأن تَعرف، كلاهما سبب ونتيجة.. فإن أحببته عرفته، وإن عرفته أحببته.. الإيمان والعلم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.. هما سلاحك لتصل إلى الجواب، هما مفتاح ما أَغلقت بجهلك من أبواب المعرفة. المحب والعارف وجهان لعملة واحدة، كلاهما يبغيان رضى الله، كلاهما يستميتان لنيل محبة الله، كلاهما يؤرقهما أن يعصيا الله، كلاهما لذتهما أن يطيعا الله.

لا أقول إن العاصي لا يحب الله، لكن لا يحق للقلب أن يَدَّعي الحب ثم يُعْرِض عن محبوبه، أن يَدَّعي الحب ويخالف محبوبه، أن يَدَّعي الحب وينسى محبوبه.. الحب تترجمه الجوارح، فيمشي المرء بحب ويتكلم بحب وينظر بحب.. لا يمكن للعقل أن يَدَّعي المعرفة ولا يعرف قدر من يدعي معرفته، لا يقبل أن يدعي المعرفة ولا يترجمها إلى واقع ملموس.. أيها الباحث عن الحب، أيها الباحث عن المعرفة، اجعل شعارك: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، تسرع في خطاك إليه، تَعجل الوصول إليه، ابذل كل شيء بغية الرضا.. فإذا رضي أيها الطيب أرضاك بعطائه، وكما يقال: "الله كريم والكريم إذا أعطى أدهش".

سأترككم أيها الطيبون لتسألوا أنفسكم كما سأسأل نفسي من جديد: "هل تحب الله سبحانه؟" "هل تعرف الله سبحانه؟" ولنمض نبحث عن جواب نصارع به الحياة. كيف لا وقد خُلِقنا وخُيِّرنا.. خيار أن يحب الله ويعرف الله، خيار ينير القلب إلى أن يلقى الله، فما أعظم نعم الله علينا ولكن قليل منا الشكور. ■

(*) كاتبة وأديبة / المغرب.

من أجل أن نكفكف دموعك يا صغيري

من أجلك ارتمينا في هذا الطريق، لنشاطرك آلامك، ونخفف عنك أوجاعك، ونملأ قلبك بالبهجة والسرور.. لا تعتِب علينا يا صغيري. أجل، تهاونَّا، ما أسرعنا إلى نجدتك حين احتجتَ إليها. ولكن ثق أنّ تضرّع يعقوب وأنينه، وعشق زليخا وأشواقها، كان يمزق صدورنا ويزلزلها.

كلما رأيتُ قدَّك الرقيق منهدًّا من الحزن والأسى، تفتت قلبي وتناثر كخصلاتك المبعثرة. كم من مرة رأيتك حزين النظرات، مطأطِئ الرأس، فاغرورقت عيناي بالدموع، وأحسست أن ظهري يكاد ينقصم أسفًا. كلما أردت أن أقتبس نغمة من لحنك الحزين أضيفها إلى آهاتي الممتدة،

صادحًا بملحمتك الكسيرة، إذا بأنينك يحرق قلبي حرقًا، وبآلامك تتعاظم في عيني، وتختنق العبارات بالعبرات.

لقد كنت أخجل من أن أمدَّ إليك يدي. كنت أستحيي من أن أواجهك بشفقتي المصطَنعة. كيف لا، وقد ذبحوك أمام عيني.. أمام عيني شعَّثوا ناصيتك، وألقوا بك في هذا الشقاء الذي تعاني منه. عندما أطفأوا عقلك، وأطعموا قلبَك لمعدتِك، رأيت كل شيء بأم عيني، كلَّ شيء، لكن وا حسرتاه لم أستطع أن أمد يديَّ الآثمتين إليك لأساعدك، لم أستطع وأنينُك يشقُّ عَنان السماء!

ما أشبه قدرك بقدر "فاوست"، لكن من هو "مفيستو" الذي تسبب في شقائك؟[1] من المجرم الذي ساقك إلى هذا المصير؟

في بلد آمن كنتَ.. مأوى دافئٌ يضمك.. يأتيك الرزق رغدًا، تشرق عليك الحياة باسمة. وإذا بك تهبط إلى ديار الوحشة هذه، وإذا بالندامة تعتصر فؤادك، وتصرخ "ليتني لم آت!"، ولكن.. هل كان بوسعك ألا تأتي؟

أتيتَ.. فوجدتَ فراغًا كئيبًا يخيم على كل مكان.. سعيتَ يمينًا ويسارًا تبحث عن قلب تألفه، فعدتَ من سعيك خاوي اليدين خائبًا.. ناديتَ فارتدَّ الصدى.. اخترقتْ أنَّاتك السماء، فما وجدتَ قربَك أحدًا.. أطلقتَ آهة بعد أخرى فلم يسمعها إلا أنت.

من سعى إليك أشبع طلبات بطنك فقط. أتدري يا صغيري؟! أنَّاتك التي تذيب أحشاء قلبي اليوم، منذ ذلك الوقت ابتدأتْ. مذ ذلك الحين بدأت غربتك فأصبحتَ مهجورًا، في الفترة التي كنت تملأ فيها الدنيا ضحكًا وحبورًا.. تلتقطك الأيدي، وتضمك الأحضان، مستمتعة بجمالك مبتهجة ببسماتك. كنت على الصدور، كنت على الثغور، كالوردة الندية. تلك العناية من أجلك كانت، لكنها خالية مما تتوق إليه روحك. غريبًا كنت بلا أنيس، وحيدًا كنت بلا جليس.

أَمسُكَ أنجب يومَك، ويومُك يمهِّد لغدوات مجهولة المعالم والآثار، إنك في مفترق طرق يا صغيري.

فَأْذَن لي اليوم أن أكون فدائيّك في هذه الجولة العصيبة. اسمح لي أن أضرب بريشتي من أجلك، وأوصل أنّاتي إلى روحك. لقد عجزتُ عن السعي إليك حين طلبتَ الغوث في غمرة العواصف والحرائق، فَأْذَن لي أن أضع رأسي الأثيم كأحجار رصيف تطؤه بقدميك، أعتذر إليك باسم كل المجرمين الآثمين: فاصفح يا صغيري عمن أنجبوك لمتعة زائلة، ومن تعلقوا بعَظْمك ولحمك وأغفلوا فؤادك ووجدانك، ومن ضحّوا بأبديتك من أجل دنيا عابرة، ومن حقنوا قلبك غلظة وخشونة وتمردًا، فكانوا سببًا في بؤسك وشقائك. ■

(*) نشر هذا المقال لأول مرة في مجلة سيزنتي التركية، العدد الأول، فبراير ١٩٧٩. الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.

الهوامش

(١) ملحوظة: "فاوست" هو الشخصية الرئيسية في الحكاية الألمانية الشعبية عن الكيميائي الألماني الدكتور يوهان جورج فاوست الذي يحقق نجاحًا كبيرًا، ولكنه غير راضٍ عن حياته، فيُبرم عقدًا مع الشيطان (مفيستو) يسلّم إليه روحه في مقابل الحصول على المعرفة المطلقة وكافة الملذات الدنيوية. وأصبحت هذه القصة أساساً لأعمال أدبية مختلفة لكتاب مختلفين حول العالم لعل أشهر هذه الأعمال هي مسرحية فاوست للأديب الألماني الشهير "غوته". (المترجم)

عيسى بن بها*

الخصائص الجمالية للقانون الأخلاقي

١ القانون الأخلاقي كباقي القوانين يحكم بالضرورة جميع الأفراد الخاضعين له على نسق واحد، ويكون شاملاً وضروريًّا. لهذا نجد التكليف الأخلاقي في القرآن الكريم يتسم بطابع الشمول، وهو ما يؤكده قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(الأعراف:١٥٨). فالقاعدة الواحدة كقاعدة العدالة أو قاعدة الفضيلة ونحوهما، يجب على كل فرد أن يطبقها ويجسدها في علاقاته الاجتماعية؛ حتى ولو كان النص التشريعي قد ورد بلفظ عام، أو نزل بخصوص السبب. ويمكننا الوقوف على أهم الخصائص الجمالية للقانون الأخلاقي في المنظور الشرعي بصفة عامة، كما يلي:

١- الشمول والتكامل

وهي خاصية منبثقة من كون الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، "فالإنسان لأنه محدود الكينونة في الزمان والمكان والعلم والتجربة، كما أنه محكوم بضعفه وميله وشهوته ورغبته وقصوره وجهله، لذلك كان من المستحيل أن تكون الأخلاق الوضعية للبشر شاملة وعالمية، فأما حين يتولى الله تعالى ذلك كله، فإن التصور العقائدي وكذلك المنهج الحياتي للإنسان، يجيئان بكل ما يحمي الصبغة البشرية من القصور والنقص، وهكذا كان الشمول خاصية من خصائص الأخلاق الإسلامية"[١].

٢- الإقناع العقلي والوجداني

من المتفق عليه في الشرع الإسلامي أن الإسلام يتوافق مع الفطرة والعقل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه" (رواه البخاري).

من هنا نقول إن "العقل السليم يقنع بما أتت به الشريعة من نظم أخلاقية بديعة ومتميزة ومستقلة عن غيرها من النظم الأخلاقية التي وضعها المفكرون والفلاسفة على حسب البيئة التي يعيشون فيها، أو على حسب أهوائهم. كذلك فإن الجانب الوجداني (العاطفي) والذي محله القلب، على قناعة تامة بأصول الأخلاق الإسلامية؛ فأخلاقنا الإسلامية يقتنع بها العقل السليم، ويرضى بها القلب المنير.. فالعقل السليم والقلب المنير عندما يعلم أن الأخلاق الإسلامية تنهى عن الكذب والغيبة والنميمة، وقول الزور والظلم والشح والعدوان والمنكر بكل أساليبه، يكون على قناعة بهذا الخلق الرباني المتميز والمستقل عن غيره"[٢].

٣- إمكان العمل

يشترط في الإلزام الأخلاقي الإمكان المادي للعمل؛ فلا يطلب من الإنسان أن يمارس فوق طاقته، حيث قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(البقرة:٢٨٦)، وقوله ﷻ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾(الطلاق:٧).

وإذا عدنا إلى الظروف التي نزل فيها هذا النص الأول، فلسوف نفهم هذه الاستحالة التي تبدو كأنها

القانون الأخلاقي في الإسلام لا يقتصر على نفي كل ما هو مستحيل على الإطلاق من الأخلاق الإسلامية، وإنما هو ينفي عنها كذلك كل تكليف لا تقر العادة إمكان تحمله، كما ينفي كل مشقة يمكن أن تهلك صحة الإنسان حتى لو كانت في حدود طاقتها.

متفقة مع الإلزام، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾(البقرة:٢٨٤)، وقد اعتقد صحابة رسول الله ﷺ أنها تنطبق على كل ما يدور في الضمير -أفكارًا أو عزائم أو رغبات أو هواجس أو تخيلات- تمسكًا منهم بحرفية هذا النص العام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، اشتد ذلك على الصحابة ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب فقالوا: يا رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق؛ الصلاة، والصوم، الجهاد، والصدقة، وقد أنزل الله هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: "تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" (رواه مسلم). فجاء هذا النص المفسر ليقول لهم إن التكليف لا يتوجه إلى الإنسان إلا في حدود وسائله"[٣].

٤- اليسر في العمل

القانون الأخلاقي في الإسلام لا يقتصر على نفي كل ما هو مستحيل على الإطلاق من الأخلاق الإسلامية، وإنما ينفي عنها كذلك كل تكليف لا تقر العادة إمكان تحمله، كما ينفي كل مشقة يمكن أن تهلك صحة الإنسان حتى لو كانت في حدود طاقتها، ويقول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(البقرة:١٨٥) يقول جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(الحج:٧٨)، وهذا "المسلك اليسير

hiragate.com

المتدرج، لا يقتصر وجوده على بضعة أمثلة فقط في الشريعة الإسلامية، بل ينطبق أيضًا وبطريقة جِدُّ واضحة على الأخلاق القرآنية في مجموعها.. ومن المعلوم أن القرآن الذي يقوم في هذا النظام بالدور الرئيسي لم يجئ إلى الناس كتابًا جملة واحدة على نحو ما نراه اليوم؛ فلقد ظهر بعكس ذلك نجومًا (متفرقًا) تتفاوت في كمها خلال نيف وعشرين عامًا"[٤]. والغرض من نزول القرآن منجمًا، هو التيسير على الناس في تلقينه وحفظه. "وإنه ليكفي أن نلاحظ هذه الأمور القرآنية المنفصل بعضها عن بعض، بمراحل متفاوتة طولاً وقصرًا، لكي نتفق على أن فيها منهجًا تربويًّا بلغ الذروة في قيمته، بغض النظر عن أسباب النزول التي تفسر وتسوغ إقرار كل واجب جديد"[٥].

ولنا أن نتخيل ماذا سيحدث لو أن هذه الكثرة من الإلزامات الأخلاقية والشرعية قد فرضت دفعة واحدة وبصورة مجملة، ولكن كونها قد وزعت على هذه الشاكلة، فإن النفوس قد تقبلتها بارتياح كامل، وقد فطن عمر بن الخطاب ﷺ لهذا المبدأ (التيسير في الإلزام) حيث قال: "إن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة"[٦].

٥- تحديد الواجبات و تدرجها

لا يكفي-ونحن في ميدان الخير الأخلاقي- أن نصف نشاطًا بكونه ممكنًا وعمليًّا، ليدخل في عداد الواجبات. فليس الخير والواجب فكرتان متطابقتان، لأنه يوجد فوق السلوك الملزم بشكل صارم درجات الخير، يتزايد استحقاقها للثواب والجزاء، ويصح تجاوزها دون ارتكاب سلوك غير أخلاقي.

لو تأملنا المنطق العام للتشريع الإسلامي، لوجدناه يضع سلمًا في أعمال الخير من قبيل الواجب، النافلة، المستحب، التطوع، لأن الناس تتفاوت عزائمهم وطاقاتهم الخلقية. "إن رجوعنا إلى الضمائر الفردية سوف يصطدم بأن كل الناس ليس لديهم نفس القدر من التشدد، ولا نفس الطاقة الأخلاقية، ويترتب على ذلك أن التنوع في الإجابات يرينا كثيرًا من الاتجاهات المتعارضة؛ فعلى حين أن الأنفس ذات العزيمة القوية، تجعل واجباتها في أعلى درجات الكمال الممكن"[٧].

ولكي يتسنى ترويض الحاسة الخلقية على هذا المجموع كله، لا بد أن تمارس النفس الإنسانية جميع القيم قبل أن تتخصص في واحدة من بينها، ففي الحديث النبوي: "إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا"، وفي رواية: "ولزورك عليك حقًّا، فأعط لكل ذي حق حقه" (رواه البخاري).

"فعن هذه المنافسة في القيم، ينتج بالضرورة أن الواجب فرع من فروع الحياة، لا ينبغي له أن يشغل امتدادًا معينًا من الخير الممكن والميسور في هذا الفرع نفسه، تاركًا المجال للفروع الأخرى كي تشبع احتياجاتها، وتحرز نصيبها الشرعي من نشاطنا"[٨]. وهذا منطق القرآن الكريم -كذلك- فهو يدعو إلى مشاركة أكبر، ويحث كل إنسان أن يرتفع إلى درجات أكثر جدارة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(البقرة:٢٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾(البقرة:٢١٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(الشورى:٤٣)، وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢٨٠).

وهكذا يترقى المسلم بأخلاقه في سلم الخير محققًا بذلك أهدافًا نبيلة، ومعززًا برقيه منظومة الأخلاق الفاضلة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، ويكون بذلك مساهمًا في عملية إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه الرسول عليه الصلاة السلام، وتعاقب عليه المصلحون بعده. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

(١) أخلاقنا الاجتماعية، لمصطفى السباعي، ص:١٧٣.

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام، لحسن أيوب، ص:١٦٧.

(٣) دستور الأخلاق في الإسلام، للشيخ محمد عبد الله دراز، ص:٦٤ بتصرف.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن، للشيخ محمد عبد الله دراز، ص:٨٥-٨٦ بتصرف.

(٥) المصدر نفسه بتصرف.

(٦) الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، ج٢، ص:٩٣.

(٧) دستور الأخلاق في الإسلام، للشيخ محمد عبد الله دراز، ص:٨٨.

(٨) دستور الأخلاق في الإسلام، للشيخ محمد عبد الله دراز، ص:٩٠.

hiragate.com

أ.د. شريف علي تاكالان*

الإدمان الإلكتروني
بين السلب والإيجاب

يعود اختراع الهاتف إلى "ألكسندر جراهام بيل" في عام ١٨٧٦ عندما نجح في نقل الصوت عبر الطاقة الكهربية، وذلك بعد ثلاثين عامًا من اختراع التلغراف. لا شك أن الهاتف من أعظم الخدمات التي قُدِّمت للإنسانية؛ إذ سهَّل على الناس التواصل ببعضهم، ووفَّر لهم التحدث فيما بينهم وإنْ كانوا في مناطق مختلفة ونائية.

وفي الأعوام الأخيرة تطور الهاتف وتبوأ مكانته المرموقة في شتى الميادين الاجتماعية والطبية والصناعية والتعليمية.. مما جعل سوق الاتصالات من أكثر الأسواق حركة ونشاطًا بل وربْحًا، إذ تحوَّل إلى ميدان سباق تتنافس فيه الشركات

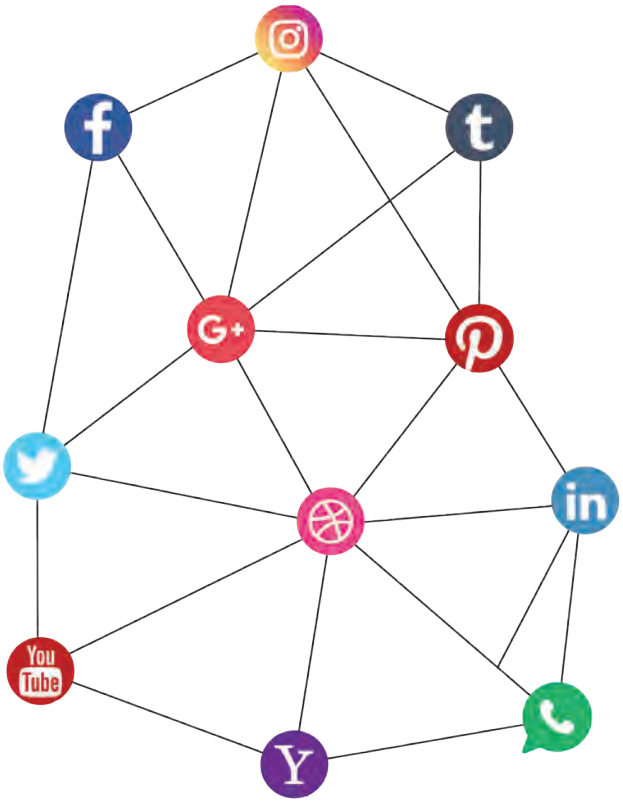

من أجل إدخال التطورات المختلفة إلى الهاتف للفوز بالمساحة الأكبر لها.

لكل مجتمع نظامه وثقافته وتقاليده التي تضبط أخلاقيات التواصل بين أبنائه، وطبقًا لهذه التقاليد يكون لكل ثقافة معايير قِيَمية وضوابط تستطيع من خلالها الحكم على تصرفات أفرادها. ولكن هل استطاعت المجتمعات والثقافات تطوير هذه الضوابط وتفعيلها في استخدام الإنترنت والهاتف؟ مما هو ملحوظ أن تكنولوجيا الإنترنت والهواتف الذكية بدأت في السنوات الأخيرة تجذب حتى الأطفال، الأمر الذي يدفعنا -كمجتمع- إلى وضع آداب سلوكية وضوابط أخلاقية في تعاملنا مع هذه التكنولوجيا، لتتحوَّل إلى وسيلة نافعة تسهم في تربية أطفالنا وتطور مجتمعاتنا.

الدور الاقتصادي

من المعلوم أن شركات الهواتف تسعى للربح، لذا تضع إعلانات جذابة تشدُّ الأفراد إلى شراء منتجاتها. فصناعة الهواتف الذكية عملية مستمرة دائمًا، فكل عام تخرج علينا الشركات المنتجة بهواتف ذات مواصفات جديدة وتقنية عالية، وهذا بطبيعة الحال يدفع الكثير إلى شراء الجديد والأحدث.. ولكن هذا الجديد -على حد تعبير الشركات- ليس إلا أسلوبًا جديدًا من أساليب استقطاب المال.

أصبحت تطبيقات الإنترنت جزءًا هامًّا من الحياة اليومية للبشر، إلى درجة أنهم لم يعودوا قادرين على التخلّي والاستغناء عنها. لذا يتوجب على مستخدمي الهواتف أن يكونوا واعين، وأن يحتاطوا من الانسياق الأعمى وراء الحملات الإعلانية للشركات الكبرى.

هدر الوقت

إن المكالمات الهاتفية التي تستمر ساعات وساعات، هي في حقيقة الأمر إسراف للوقت وضياع للعمر. وقد ورد أن القدماء كانوا يقولون: "اللهم إنا نسالك صلاح الساعات والبكرة في الأوقات".. كما درجت أمثلة كثيرة على ألسنة أجدادنا حول أهمية الوقت والزمان، منها "الوقت من ذهب إن لم تدركه ذهب"، "الدقائق التي تَضيع منّا كل يوم يبتلعها الفراغ".. وفي كل ذلك تحذير من هدر الوقت وتضييعه فيما لا مصلحة فيه. إذن، علينا أن نستخدم الهواتف باعتدال دون إفراط أو تفريط.

آداب الاتصال والمكالمة

هل الوقت مناسب للاتصال الآن؟ هل يُحتمَل أن يكون زميلي في اجتماع هذه اللحظة؟ وغيرها من الأسئلة التي لا بد على المتصل -في غير الحالات الضرورية- أن يسأل نفسه بها.. كما عليه أن يضع فرق التوقيت الزمني بعين الاعتبار إن كان مَن سيتصل به في مملكة أو قارَّة أخرى. يكفي الاتصال مرتين أو ثلاث مرات متتاليات في حالة عدم الإجابة؛ لأن الإصرار أمرٌ غير مرغوب فيه من قِبل الناس. وليس من الخطأ أن نشبِّه ذلك بآداب زيارة المنازل التي تلقَّيناها من تراثنا المجيد؛ حيث يُطرق الباب ويُستأذَن ثلاث مرات، فإن لم يؤذن لطارق الباب، وجب عليه الرجوع وعدم الإلحاح على الطرق.

موضوع آخر يجب الانتباه إليه في آداب استخدام الهاتف، وهو أن الشخص إذا كان في اجتماع أو مقابلة، عليه أن يضبط هاتفه في وضع الصامت، أو أن يجعله في وضع الاهتزاز، وإذا اضطُرَّ إلى المكالمة، عليه الاستئذان من الجليس ثم إجراء مكالمته.. وبالتالي علينا أن ننتبه إلى أن الحديث في الهاتف وخاصة لفترة طويلة عند مَن نجلس معه، يعدُّ قلة احترام، لذلك يجب أن

hiragate.com

نعتذر من المتصِل بلطف، ونؤجل المكالمة إلى وقت لاحق إنْ لم تكن الحاجة ملحَّة. ومن آداب الاتصال والمكالمة أيضًا، أنه إذا كنا نتحدث مع شخص ما، علينا ألاّ ننشغل بقراءة رسائل الهاتف أو إجابتها، لأن ذلك يعدُّ عدم تقدير وقلة احترام تجاه جليسنا، وإن كان الأمر ضروريًّا أو عاجلاً، لا بد من الاستئذان ثم القيام بما هو لازم.

الهواتف الذكية والإنترنت

لا شك أن الهواتف الذكية ومن ثم شبكة الإنترنت أتاحتْ لكثير من البشر متابعة العالم وأحداثه عن قرب، وبإمكان مستخدم هذه التقنية أن يعرف كل جديد من خلال هاتفه الذي يحمله بين يديه وبكل سهولة؛ بإمكانه -مثلاً- أن يتصل بأيّ بقعة في العالم وهو جالس في مكانه، وبإمكانه أن يشارك في صفقات تجارية مربحة على الإنترنت.. كل ذلك يعني أن الهواتف الذكية مع الإنترنت، سهَّلت على كثير من الناس التحرُّك في ميادين الحياة دون تعب منهم ودون تضييع لوقتهم.

إذن، يوجد في فضاء الإنترنت معلومات يستفيد منها الأفراد في ترقية حياتهم وصقل معرفتهم. ولكن علينا أن ننتبه ونعي ولا ننسى أن هناك كمائن في فضاء الإنترنت الواسع؛ إذ من خلاله -إن لم يكن التوجيه السليم- تُعكَّر أفكار أبنائنا وتشوَّه أنفسهم، مما يُحدِث عندهم انهيارًا في الروح والأخلاق.. وهذا بدوره يجعلهم يعيشون في عالم غير عالمنا، وفضاء غير فضائنا.. فبدءًا من ألعاب الفيديو التي يدمن عليها الأبناء كبيرهم وصغيرهم، إلى الإدمان على شبكة التواصل الاجتماعي، إلى غيرها من الكمائن في فضاء الإنترنت -طبعًا عند عدم استغلاله إيجابًا- التي توقع الكثير منهم في مستنقع الشهوات والنزوات، وتجعلهم أسرى بيدها، يقضون معظم أوقاتهم في عبث، ضررُه أكثر من نفعه.

صحيح أن الإنترنت والهواتف الذكية سهَّلت علينا حياتنا من جوانب عديدة، وعملت على تقريب البعيد وتسهيل الأعمال، ولكن علينا أن نحرص كل الحرص على التمسُّك بآداب استخدام هذا الفضاء الشاسع. والأهم من ذلك، يجب أن نعتني بتعليم أبنائنا آداب استخدام الإنترنت

والهواتف الذكية، حتى لا يصرفوا أهم فترة زمنية من حياتهم فيما لا فائدة منه.. ويتوجب علينا دائمًا أن نبحث عن الطرق التي من خلالها نستطيع أن نوازن بين استخدام التكنولوجيا والحفاظ على أوقاتنا وحياتنا الاجتماعية.

إن لم نسعَ إلى وضع ضوابط ومعايير في استخدام الهواتف الذكية والإنترنت، عندئذ لن نتمكن من أن نجعلها وسائل تجلب لنا السعادة وتعيننا على إقامة حياتنا بالشكل الذي نرغب، بل ستتحوَّل إلى عائق يعكِّر صفو حياتنا ويجلب لنا المتاعب والمشقات. وقد بيَّن المختصون أن عدم الاستخدام الرشيد للإنترنت والهواتف الذكية، قد يؤدي إلى ما سمَّوه بـ"الإدمان الإلكتروني"، وهذا شيء غير مرغوب به على الإطلاق.

إن مواكبة التطور واستخدام أحدث وسائل التكنولوجيا شيء مطلوب، والتوفيق بين هذا التطور وبين آداب الاستخدام شيء لا بد منه.. لأن الهواتف الذكية وشبكة الإنترنت وسائل فتحت أمام أبنائنا وشبابنا سبلاً عريضة لاستثمار طاقاتهم، ولكن إدمان الشباب على التكنولوجيا وبقاءهم في فضائه ليل نهار، يدفعنا إلى النظر في النتائج المحتملة سلبًا أو إيجابًا.. والسؤال الذي لا بد منه في الختام هو: هل هذا الإدمان الإلكتروني والاعتماد التام على التكنو لوجيا، يؤدي تدريجيًّا إلى ضياع بعض المبادئ والقيم الأساسية في مجتمعاتنا أم لا؟ ■

(*) كاتب وأكاديمي / الولايات المتحدة الأمريكية. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.

د. صهباء بندق*

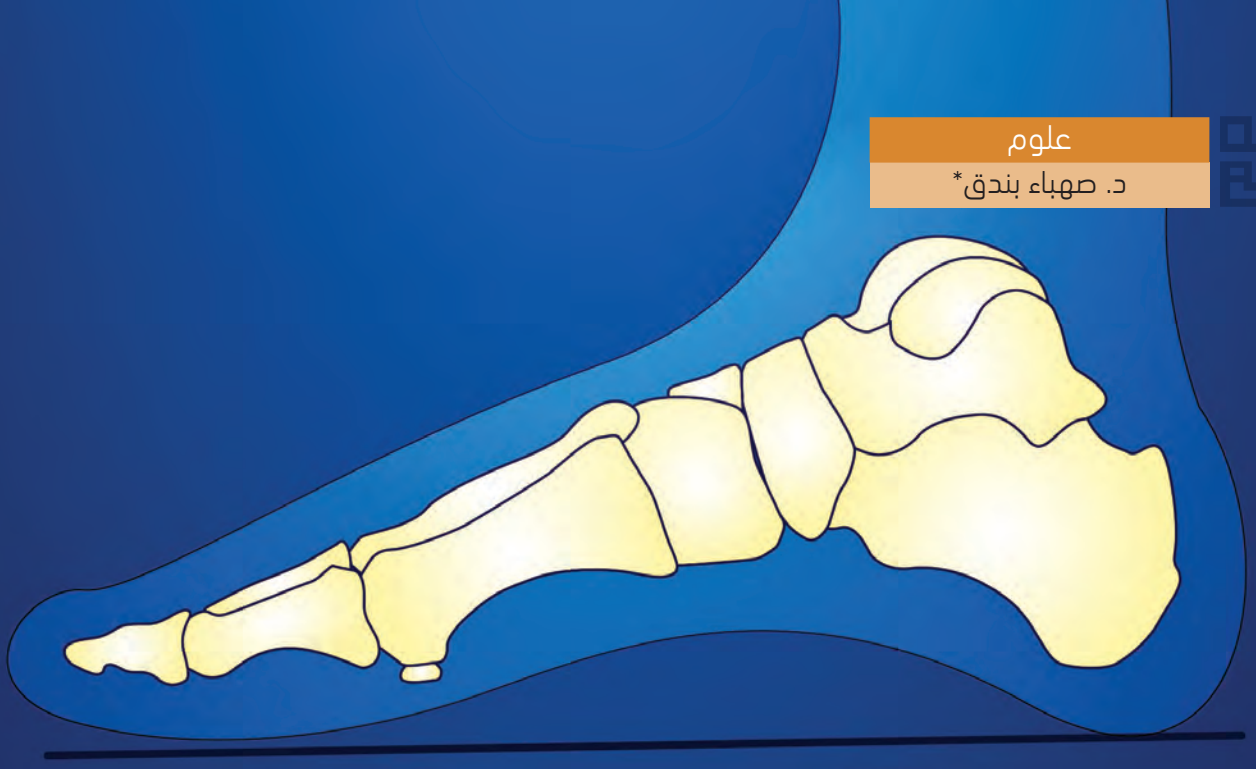

أقواس القدم

خُلقت القَدَم لوظيفتين أساسيتين؛ العمل كرافعة تدفع الجسم إلى الأمام أثناء المشي والجري، وحمل وزن الجسم كاملاً. ويتناسب التركيب التشريحي للقدم البشرية بشكلٍ مُتقن بديع مع المهمة الوظيفية لها، وذلك من خلال التقسيم البسيط والتصميم المعقد لأجزائها.

القَدَم كرافعة

إن وظيفة القدم الأساسية العمل كرافعة، تدفع الجسم إلى الأمام أثناء المشي والجري، ولو أن الله تعالى خلق القدم مكوَّنة من عظمة واحدة قوية بدلاً من سلسلة من العظام الصغيرة، لكان بمقدورها أيضًا أن تحمل وزن الجسم، وأن تعمل كرافعة جيدة للدفع الأمامي. فلماذا كانت القدم بمثل هذه البنية من العظام الصغيرة المُجزَّأة المتراصة وليست عظمة كبيرة واحدة؟ السبب أن القدم لو كانت مكونة من عظمة واحدة، لما استطاعت أن تكيف نفسها مع السطوح غير المتساوية والمتعرِّجة، كما أن الدفع نحو الأمام في هذه الحالة، سيتوقف كليًّا وبشكل رئيسي على عمل عضلة الساق (Gastrocnemius) والعضلة النعلية (Soleus).

ولكن بما أن القدم مجزَّأة بمفاصل عديدة، فيمكنها أن تكيف نفسها مع السطوح غير المنتظمة والبروزات غير المتساوية. كما يسمح هذا التركيب المتمفصل للعضلة المثنيّة الطويلة (Long exor muscles) والعضلات الصغيرة للقدم، أن تمارس عملها على عظام مقدِّمة القدم وعلى أصابع القدم؛ لتأمين نقطة ارتكاز من أجل رفع القدم، حيث يمثلان معًا نقطة إقلاع القدم (The take off point) التي تساعد بشكل كبير في عملية الاندفاع نحو الأمام، العملية التي تقوم بها عضلة الساق والعضلة النعلية،

وهكذا أصبحت حركة القدم -حتى فوق الأسطح غير المنتظمة- ثابتة ومرنة وانسيابية.

القدم كحاملة لوزن الجسم

بالعودة إلى التركيب التشريحي للقدم البشرية، فإننا نجد أن أقواس القدم تأخذ شكل الجسر المقوَّس بطريقة مذهلة؛ فالعظام المتمفصلة في القدم البشرية تتراص على شكل ثلاثة أقواس، يمتد اثنان منها بطول باطن القدم على الجانبين (الأقواس الطولانية الأنسية والوحشية)، ويمتد الثالث بعرض باطن القدم (القوس المستعرضة). ويُظهر فحص صورة شعاعية جانبية للقدم، شكل وترتيب العظام التي تشكل هذه الأقواس بوضوح.

الجانب الداخلي من القدم اليمنى

عبقرية القوس وقدرة الخالق

خلق الله القدم البشرية بتصميم هندسي يجعل عظامها تتراص على هيئة أقواس طولية وعرضية، بحيث لا تلامس بطن القدم سطح الأرض عندما يقع وزن الجسم على القدم أثناء الوقوف، وعند فحص أثر انطباع قدم رطبة على الأرض لشخص في وضعية الوقوف، يمكن رؤية أن العقب والحافة الوحشية للقدم، والوسادات تحت رؤوس الأمشاط، ووسادات السُّلاميات القاصية، تكون كلها على تماس مع الأرض.

١- القوس الطولانية الأنسية: تتألف القوس الطولانية الأنسية (Medial Longitudinal Arch) من عظم العقب، والعقب والزورقي، والعظام الإسفينية الثلاث، والعظام المشطية الثلاث الأولى، ويمتد على الجانب الأنسي بطول القدم ويلامس هذا القوس الأرض عند العقب وتكوير القدم فقط، وهو المسؤول عن تكوير شكل القدم في الجانب الأنسي؛ حيث تتقوس الحافة الأنسية للقدم (الحافة حيث تلتقي القدمين) من العقب وحتى رأس المشط الأول فوق الأرض بفضل القوس الطولانية الأنسية.

٢- القوس الطولانية الوحشية: تتألف القوس الطولانية الوحشية (Lateral Longitudinal Arch) من عظمي العقب، والنردي، والعظمين المشطيين الرابع والخامس.

يكون أكبر انطباق القدم على الأرض من الحافة الوحشية عند العقب وعند رأس المشط الخامس، فيما يقع أقل انطباق للقدم بين هاتين المنطقتين، وذلك بفضل الوضع المنخفض للقوس الطولانية الوحشية الذي يمتد على الجانب الوحشي بطول القدم.

٣- القوس المستعرضة: تتكون القوس المستعرضة (Transverse Arch)، من قواعد العظام المشطية الخمسة، والعظم النردي، والعظام الإسفينية. وهذه القوس هي في الحقيقة نصف قوس فقط، قاعدتها عند الحافة الوحشية للقدم، وقمتها عند الحافة الأنسية، لهذا فإن القدم الواحدة تمثل نصف قبة، بينما تتشكل قبة كاملة عندما توضع الحافتان الأنسيتان للقدمين بجانب بعضهما.

ومن هذا الوصف لأقواس القدم الثلاثة، يمكن أن نفهم أن وزن الجسم يتوزع أثناء الوقوف على كامل القدم، عبر العقب (الكعب) في الخلف، وست نقاط تماس مع الأرض في الأمام، هي العظمتان السمسمانيتان (Sesa-moid Bones) تحت رأس المشط الأول، ورؤوس العظام المشطية الأربعة الباقية.

لماذا أقدامنا مقوَّسة؟

تعطي هذه الأقواس الثلاثة مجتمعة خاصية المرونة للقدم أثناء السير على الأسطح غير المنتظمة أو القفز، حيث تتميز بالقوة والمتانة الإنشائية التي تتحمل حركة ووزن الإنسان مدى الحياة، تمامًا كما الجسور المقوَّسة (القناطر) التي بناها الرومان القدامى وما زالت صامدة حتى يومنا هذا.

وهكذا تعطينا أقواس القدم مثالاً بيولوجيًّا على التأثير الطبيعي للقوس في تحمل الأوزان وتوفير الثبات للبنية الجسدية، تمامًا كما تعطي الجسور والقناطر مثالاً تاريخيًّا في تحمل الأوزان وتوفير الثبات للمنشأة الهندسية. والأقواس في المثالين -التاريخي

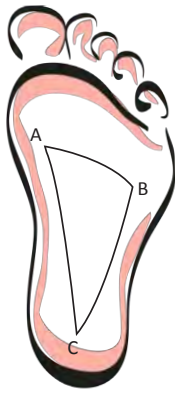

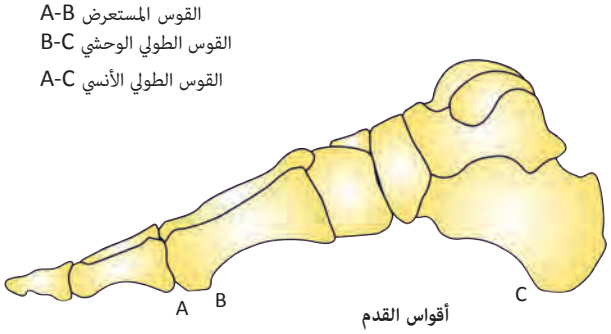

مع صنعة الخالق. ولشرح القواعد التي يقوم عليها بناء الجسور المقوَّسة أو أقواس القدم دعونا نتصور أننا مهندسون نعمل في مشروع تصميم الجسم البشري.

والآن لنحمِّل هذا القوس البسيط في أقدامنا مهمة كبيرة جدًّا هي توزيع وزن الجسم كاملاً، فكيف يمكننا المحافظة على شكل كل قوس من أقواس القدم تحت تأثير وزن الجسم بأكمله؟

أ– شكل الحجارة/شكل العظام: تكمن أكثر الطرق فعالية في دعم القوس، جعل الحجارة في شكل أسافين (أوتاد)، ثم ترتيبها إلى جوار بعضها بحيث تتجه الحافة الدقيقة للإسفين نحو الأسفل، ينطبق هذا بشكل خاص على الحجر الأساسي الذي يشغل مركز القوس والذي يسمى حجر العَقْد أو المُرتكز (Keystone)، وعلى هذا النحو بُنيت الجسور الرومانية القديمة، من خلال رصّ الحجارة المتقوسة (لبنة العقد) المتماثلة في الحجم والشكل إلى جوار بعضها البعض. وقد ارتبطت القنطرة تاريخيًّا بمادة الحجر، حتى أنها سُمِّيت أحيانًا بـ"الحجرية" بدل "القنطرة".

وبالرجوع إلى التركيب التشريحي لأقواس القدم، نجد أن أوسط القدم (Mid foot) يتكون من خمسة عظيمات غير منتظمة الشكل، وهي النردي (Cuboid bone)، والزورقي (Navicular bone)، وثلاث عظام إسفينية (Bones cuneiform).

تشكل هذه العظيمات الخمس، أقواس القدم التي تعمل على امتصاص الصدمات. فقد قامت اليد الإلهية بنحت هذه العظيمات كما ينحت المعماري الأحجار، ويجعلها متداخلة فيما بينها، يكمِّل بعضها البعض من خلال ترتيبها وصفِّها على نحو يشبه إطارات الضبط، بحيث تكون مثبتة الواحدة تلو الأخرى على حامل القوس الذي يتوسطه حجر العَقْد أو المُرتكز أو حجر الأساس الذي يمثل مركز القوس، يحدث كل ذلك وفقًا لقواعد الهندسة المعمارية لبناء الجسور، تصطف تلك العظيمات الإسفينية الشكل الواحدة تلوى الأخرى، كما لو أن يدًا قامت برصها وترتيبها على حامل القوس

والبيولوجي– تقاوم جميع قوى الضغط والأوزان في الحركة والسكون، وهذا ما يُفسر استمرارية استخدام هذا النوع من الجسور المقوَّسة أو القناطر حتى الآن، بل وتقام فوقها الطرق المعبَّدة المزدحمة، ولم تزل الشاحنات الثقيلة تمر عليها بعد مرور أكثر من ٢٠٠٠ عام من الإنشاء المعماري.

آليات دعم الجسور المقوَّسة

ترتكز آلية بناء أقواس القدم على ذات القواعد الهندسية لبناء القنطرة في تناسق مدهش، حيث يقوم المهندسون بتصميم الجسر الحجري المقوَّس، مستخدمين ذات القواعد الهندسية التي تضمن متانة القدم وتثبتها. إن العوامل الهندسية التي تجعل الجسر يقاوم جميع القوى والأوزان والعوامل الطبيعية، هي ذات العوامل التي تجعل القدم البشرية تتحمل وزن الجسم وتمنحها المرونة أثناء السير على الأسطح غير المنتظمة أو القفز، والثبات أثناء الوقوف، وهنا تتجلى صورة مؤثرة لتماهي صنعة المخلوق

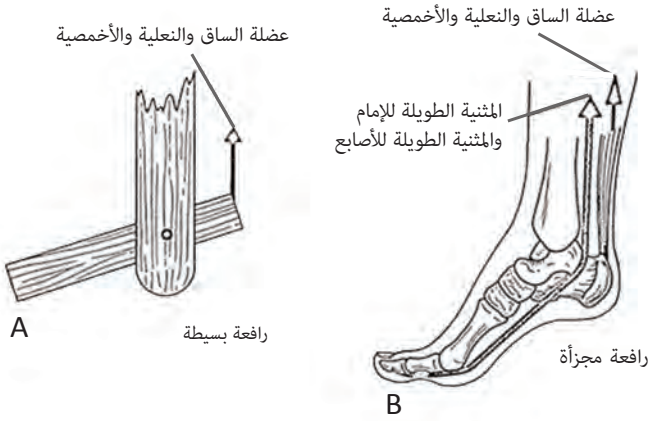

القدم كرافعة بسيطة (A) والقدم كرافعة مجزأة (B)

المصمم على شكل نصف دائرة، يد مهندس الخلق العظيم التي قامت بإدخال كل واحدة منها بفائق الدقة والمهارة داخل المساحة العظمية لكل قوس.

ب- ربط الحواف السفلية للحجارة مع بعضها: لا تتميز العظام التي شاركت في بناء أقواس القدم بفرادتها من حيث الشكل والترتيب فحسب، بل بهندستها أيضًا. فما يجلب الانتباه والإعجاب أكثر، الأسلوب البديع المتبع للربط بين هذه العظام الصغيرة المتنوعة في الشكل والترتيب (أربطة عديدة عبارة عن حزمة من النسيج الليفي تقوم بربط العظام ببعضها البعض). وهنا نعثر على وجه آخر من أوجه التشابه المعماري بين التركيب التشريحي لأقواس القدم وهندسة الجسور المقوسة، حيث يتم تصميم هذه الجسور بإجراء تداخل بين الحجارة، ثم ربط حوافها السفلية مع بعضها باستخدام رَزَّات أو مشابك معدنية (Metal staples) تعمل على توصيل هذه الحجارة جنبًا إلى جنب. وهذه الطريقة تقوي الجسر وتمنع ميل الحواف السفلية للحجارة من الانفصال، وتكبح انهيارها عندما يكون الجسر محملاً بالأثقال.

يقابل هذه الرَزَّات أو المشابك المعدنية في أقواس القدم، تلك اللفافات السميكة من الأربطة المرنة التي تكسو أطراف العظام المكوِّنة لهذه الأقواس. فالأربطة هنا، تقوم بوظيفة المشبك المعدني الذي يجعل القوس قادرًا على امتصاص الصدمات، وهكذا تعمل الأقواس كممتص للصدمات، وتشكل حماية للساق والعمود الفقري، خاصة أثناء السير فوق الأسطح غير المنتظمة وأثناء القفز.

جـ- استخدام عارضات الربط: إذا كان امتداد الجسر كبيرًا والدعامات على إحدى نهايتيه غير مستقرة، فإن وضع عارضة ربط (Tie beam) تصل بين نهايتيه، سيمنع بشكل فعال تباعد هاتين الدعامتين، وبالتالي يمنع انخفاض أو هبوط القوس. يُعرف هذا النوع من الجسور بـ"الجسور العارضية" (Beam bridge)، ويتألف من عارضة أفقية مدعومة بركائز شاقولية (مائلة) في نهايتيها.

وقد راعت الهندسة الإلهية حاجة القدم البشرية إلى تحمل الأحمال والأوزان والضغوط المتنوعة، فأضافت إلى التصميم الهندسي للقدم، عارضة ربط ممثلة في وتر العضلة المثنية الطويلة للإبهام الذي يقوم بعمل عارضة أفقية مدعومة بركائز شاقولية في نهايتيها.

د- استخدام نموذج الجسور المعلَّقة: كما يبدو من الاسم، هي جسور تعلق الطريق بكوابل أو سلاسل طويلة متصلة بأبراج كبيرة. مهمة تلك الأبراج هي تحمل الوزن بشكل كبير في صورة حمل شد يتركز على قضبان الجسر، ومن ثم تقوم تلك السلاسل بنقل حمل الشد عليها، إلى الأبراج التي تقوم بنقلها إلى سطح الأرض.

عندما يزداد الضغط على القدم بصورة كبيرة قد ينهار القوس بعد أن يتجاوز حد الاستطالة المسموح به، وأفضل طريقة للتعامل مع قوى الضغط هذه، هو نقلها أو توزيعها على القوس بأكمله، بحيث يتولد حمل موزع على كامل امتداد القوس وليس مركزه فقط، ولهذا

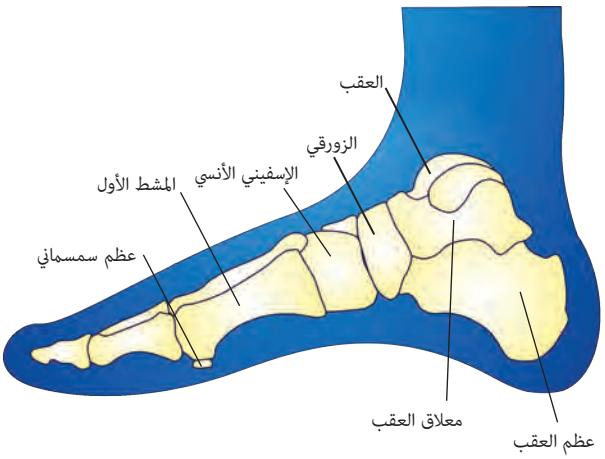

تم تعليق أقواس القدم من الأعلى، وتقوم بهذه المهمة العضلتان الشظويتان الطويلة والقصيرة (Peroneous longus and brevis). وهكذا مع قليل من التأمل، يمكننا استنتاج مدى التطابق الهندسي المدهش بين الجسور المعمارية التي أقامتها أيدي المهندسيين المهرة، وأقواس القدم التي أقامتها يد الخالق العظيم لدعم وظائف القدم والحفاظ عليها.. يمكننا مشاهدة الهندسة المعمارية (فنون العمارة) وهي تتناغم مع هندسة الخلق الربانية، والاستماع إلى سيمفونية المعمار البشري وهي تتماهى مع سيمفونية الخليقة.. ببساطة، يمكننا تذوق الروعة والفخامة في صنع الله الذي أتقن كل شيء. ■

(*) كاتبة وطبيبة مصرية.

د. محمد السقا عيد*

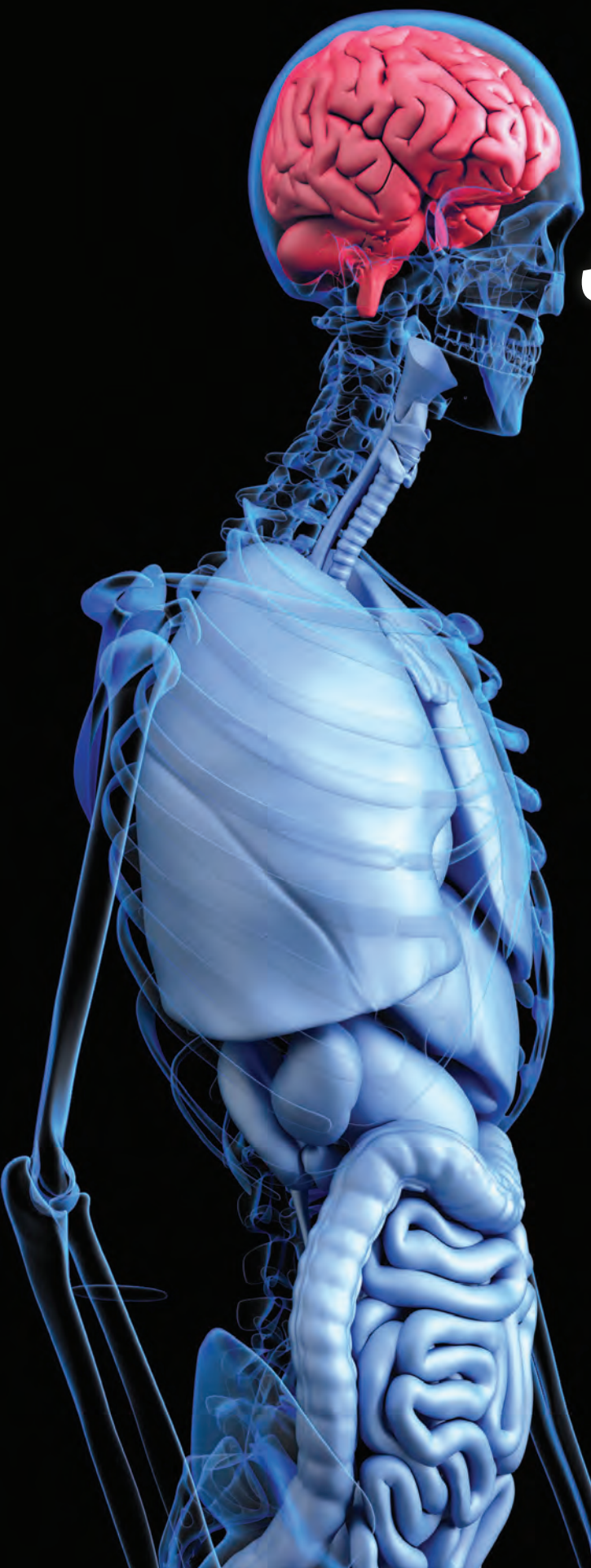

دولة جسم الإنسان

لا شك أن كل دولة تتمتع بمقومات أساسية، هي الشعب والرئاسة والأجهزة الإدارية والحدود. ولا تستقيم الدولة إلا إذا قام أفرادها -رئيسًا ومرؤوسين- بواجباتهم. كما أن للدولة أجهزة للدفاع، وأجهزة للصيانة، وأجهزة للنقل والمواصلات، وفِرَق للإنقاذ والإصلاح، ومولدات كهربية، ثم جهاز رئاسي يتلقى الأخبار فيصدر التعليمات. وما رأيك أيها الإنسان إن قلتُ لك إن مقومات الدولة هذه موجودة فيك، وإن جسمك دولة مستقلة بذاتها؟

فمركز رئاستك، يتمثل في المخ والمخيخ والنخاع الشوكي. أما الوزارات والهيئات، فتتمثل في أجهزة الهضم التي تحوّل الطعام إلى سائل سهْل الامتصاص ليتحول إلى طاقة تمد أجهزة الجسم وخلاياه بما يلزمها.

أما المواصلات السلكية والكهربائية، فتتمثل في الجهاز العصبي؛ حيث يصل المخ بجميع الأجهزة والأفراد التي هي الخلايا، ليُصدر الأوامر والتعليمات. والمواصلات أيضًا، تتمثل في جهاز النقل الذي يوزّع الغذاء والتموين إلى جميع الأجهزة والخلايا، وذلك من خلال الدم.

وأما هيئة النظافة فيمثلها الجهاز البولي، حيث يقوم بتطهير الجسم من المخلفات. أما السمع والبصر واللمس والشم، فتمثل أجهزة الاستطلاع والاستخبار. كما يمثل الجلد، الحدودَ الرسمية

لدولة جسمك. وإليك إلمامة بسيطة بوظيفة بعضها.

مركز الرئاسة

يتمثل في المخ والمخيخ والنخاع الشوكي، وهو يتلقى أخبار مرؤوسيه فور حدوثها، فيصدر الأوامر والتعليمات لمواجهة الأحداث، فتتحرك الأجهزة المختصة لتنفيذ الأوامر كلٌّ فيما يخصه.. وتتحصن الرئاسة داخل جمجمة قوية صلبة. ويرتبط مركز الرئاسة بجميع أجهزة الجسم من خلال خيوط دقيقة تنتشر في الجسم على شكل خطين متقابلين، أحدهما يحمل الإشارة إلى المخ والآخر يحملها من المخ -المنسّق عمل الأجهزة- ويديرها، وذلك بواسطة الخيوط التي تسمى الأعصاب.

وتتمثل رعية دولتك، في خلاياك التي يبلغ عددها ٣٠٠ ألف مليون خلية، ورعاية هذا العدد الضخم من الخلايا وتلبية حاجاتها والدفاع عنها ليس بالأمر الهيّن أبدًا. ولكثرة الرسائل تم تخصيص مجموعات من الخلايا تتولى كل مجموعة نوعًا من الرسائل؛ فمنها مَن يتولى شؤون الحركة وضبطها، ومنها مَن يتولى شؤون الرؤية والسمع واللمس والشم، ومَن يتولى أمرَ الانفعالات، ومجموعة تتكفَّل ربط الخبرة بالخبرة والانطباع بالانطباع وتختزلها في الذاكرة ليُرجَع إليها لاحقًا.

وزارة التموين

هذه الوزارة في دولة جسمك، من اختصاص الجهاز الهضمي الذي يتولى معالجة الطعام وتحويله إلى سائل لتسهيل الامتصاص، ثم يحيله إلى جهة أخرى لتوزيعه على خلايا الجسم وأجهزته؛ حيث تقوم المعدة بإفراز العصارات الهاضمة وشرح الطعام حتى يذوب، ثم تفرغه في الأمعاء، لتفرز الأمعاء عصارات أخرى هاضمة تكمل عملية الهضم وتحوله إلى السائل اللبني السهل الامتصاص، ثم تمتصه شعيرات دقيقة مبطنة للأمعاء وتسلمه بدورها إلى شعيرات الدم لتوزيعه على أجهزة الجسم وخلاياه، إذ تأخذ كل خلية ما تحتاجه وتترك باقيه لغيرها، وفي نفس الوقت تطرد إلى الدم نفاياتها لتحمله إلى أجهزة الإخراج في البول أو العرق أو البراز أو الزفير.

أجهزة الاستطلاع

البصر: توجد في مقدمة العين عدسة بوسطها دائرة ضيقة تسمى "إنسان العين"، يتوليان تنسيق الأشعة الضوئية التي تنفذ من خارج العين، ثم ينقلانها إلى البؤرة وهي مؤخرة العين، كما تترجم الأشعة الضوئية في العصب البصري إلى صورة يستطيع الجسم من خلالها أن يستطلع جيران الجسم من جماد أو حيوان.

السمع: إن الأذن الخارجية تلتقط اهتزازات الموجات الصوتية التي تخترق الهواء وتنقلها إلى الأذن الداخلية، فإذا وصلت الموجات إلى الأذن الداخلية، تحولت إلى حوافز عصبية ترتد إلى الجزء المخصص من المخ فيترجمها إلى أصوات ونبرات.

جهاز النقل: يقوم جهاز النقل (الدم) بنقل المكونات الغذائية إلى خلايا الجسم كلها، ومن أهم المكونات التي سنتحدث عنها:

أ- كرات الدم الحمراء أعداد فلكية: يحتوى المليمتر المكعب الواحد على خمسة ملايين كرية دم حمراء وسطيًّا، وهي خلايا مجهرية لا تُرى إلا بواسطة الميكروسكوب المجهر، إذ يبلغ قطر الواحدة منها سبعة في الألف من المليمتر، وسمكها اثنان في الألف من المليمتر. وقد منح الله تعالى تلك الكرات خاصية المرونة التي تساعدها على دخول أصغر وأدق الأوعية

تترجم عدسةُ العين و"إنسان العين" الأشعة الضوئية في العصب البصري إلى صورة يستطيع الجسم من خلالها أن يستطلع جيران الجسم من جماد أو حيوان.

الشعرية، كما يبلغ عدد الدورات التي تدورها تلك الكرية العجيبة ١٥٠٠ دورة يوميًّا داخل الجسم، وتقطع رحلة يبلغ طولها حوالي ١١٥٠ كم خلال عمرها الذي يبلغ ١٢٠ يومًا، وهكذا لا تترك جهازًا أو نسيجًا أو خلية إلا مرت به وزودته بما يكفيه من الأكسجين.. وتتغير أيضًا عدد الكريات الحمراء على مر اليوم، ففي أول اليوم يكون منخفضًا نوعًا ما، أما في آخره فإنه يزداد نوعًا ما، كما يزداد أثناء المجهود البدني العنيف. إن وظيفة الخلايا الحمراء، هي حمل الغذاء من الجهاز الهضمي، وحمل الأكسجين من الرئتين إلى جميع خلايا الجسم.

ب- مصنع متعدد المراكز: يعتبر نخاع العظام الأحمر هو المصنع الضخم الذي يزود الجسم بالكرات الحمراء، ويصل عمر الكرية الحمراء إلى ١٢٠ يومًا. وعلى ذلك فإن الكريات الحمراء في الدم تتبدل كلها في مدى ١٢٠ يومًا، أما عدد الكريات التي تتجدد في اليوم الواحد فيصل إلى ٢٤٠ مليار كرية حمراء، أي عدد ما يتجدد في فترة ١٢٠ يومًا (عمر الكرية) يساوى ٢٤٠×١٢٠= ٢٨٨٠٠ مليار كرية حمراء في الدم الكامل. وهذه الطاقة الإنتاجية الهائلة لنخاع العظام الأحمر، هي الطاقة العادية في الظروف العادية، ولكن الجسم يتعرض لظروف غير عادية يحتاج معها إلى ضعف هذه الطاقة.

وُهب النخاع طاقة تصل إلى ستة أو سبعة أضعاف طاقته العادية قبل أن يصاب الجسم بالأنيميا (فقر الدم) الذي ينتج عن نقص في عدد كرات الدم الحمراء.

وعلى ذلك تكون طاقة النخاع القصوى في حالة الطوارئ هي ٢٤٠ مليار×٧= ١٦٨٠ مليار كرية حمراء.

وتختزن الكريات الزائدة في الطحال الذي يقوم بوظيفة الخزان، أو المستودع الذي يطلق الخلايا في تيار الدم حسب الحاجة، كما أنه يتولى أيضًا جمع طعام تلك الخلايا بعد موتها. ولا بد أن نقف أمام هذه الأرقام الفلكية متسائلين: أيعقل أن يكون ذلك الإبداع والتقدير من صنع المصادفة العمياء؟

جهاز الدفاع أو شرطة الدم

ويتمثل في كرات الدم البيضاء التي لا لون لها، وهي تتحرك في الدم بطاقة ذاتية، بمعنى أنها تتحرك بحركة الدم أو بعكس حركته، وهي في حالة تأهب واستعداد. يصل عدد كرات الدم البيضاء في الإنسان البالغ، إلى ٤-١٠ آلاف كرة، ويسميها البعض "شرطة الدم"؛ لأنها تطارد المخالفين بنجاح، ويعتمد عليها الجسم في صد المعتدين أو سد الثغور عند تسيب الدم خارج الجسم. وإذا هاجم الجسمَ ميكروب، فسرعان ما تظهر لمحاصرته وتطويقه حتى الموت، وبالتالي إذا انفتحت ثغرة في الجسم، أسرعت الصفائح العالقة بالدم حول الثغرة تتجمد، أو تتجلط لتكون سدًّا يمنع تسرب الدم إلى خارج الجسم. ولم يستطع العلماء حتى الآن تحديد عمر هذه الكريات.. إنها بمثابة جنود، والجنود عامة لا تعمر كثيرًا، بل تقضي نحبها أثناء القتال في سبيل الإبقاء على أجسامنا سليمة.

ولا تتصارع الكرات البيضاء مع الميكروبات فحسب، فمنوط بها أيضًا وظيفة أخرى هامة جدًّا، وهي القضاء على جميع الخلايا التالفة والتي استُهلكت؛ فهي تقوم دائمًا داخل أنسجة الجسم بعمل تفكيك وتنظيف المكان، للإفساح لبناء خلايا جديدة للجسم.

الجهاز المناعي وكلمة سر الليل

الجهاز المناعي يملك قدرة عجيبة يستطيع من خلالها التمييز بين العدو والصديق؛ ففي الوقت الذي لا يهاجم أي عضو من أعضاء الجسم، نجده يهاجم الأجسام الغريبة مهما كان حجمها، إذا دخل إلى حصن الجهاز المناعي العتيد.

والسر يكمن في كلمة سرِّ الليل، أو البصمة الجينية

الموجودة في تكوين كل خلية من خلايا الجسم، والتي يطلب الجهاز المناعي إبرازها في حالة نشاطه وهجومه، فإذا أفلحت الخلية أو العضو في إبراز بطاقتها أو هويتها الحقيقية، فإن الجهاز المناعي يتركها ويطلق سراحها، أما إذا فشل العضو أو الخلية في إبراز كلمة السر، فإن الجهاز االمناعي يعامله معاملة الأعداء ويهاجمه، مما يؤدي إلى مضاعفات خطيرة في الجسم قد تكون سببًا في موته.

وعليه، يوجد في جسم الإنسان ثلاثة خطوط للدفاع: أما الخط الأول فيتمثل في الجلد وإفرازاته التي تقاوم الفطريات، ودموع العين التي تحتوي على أملاح مقاومة لبعض الميكروبات، تعبر أيضًا عن قدرة هذا الجهاز. وأما خط الدفاع الثاني فيتمثل في الخلايا الليمفاوية التي تعمل على مدار الساعة بيقظة ونشاط، وكأنها فِرَق من الشرطة الحارسة للجسم عن طريق اختراق الجراثيم لخط الدفاع الأول. وأما خط الدفاع الثالث فيتمثل في نوع من كرات الدم البيضاء (الخلايا المقاتلة) تتم صناعتها بسرعة بعد الحصول على معلومات دقيقة عن نوع العدو الذي عجزت خطوط الدفاع عن مواجهته لتكون قادرة على هزيمته.

ولعل جهاز المناعة في الإنسان، يشبه جيشًا على أعلى مستوى؛ قيادة ومعامل أسلحة، وفِرق مستطلعة، وفِرق مقاتلة، وفِرق مصنعة، وفِرق خدمات.. وإذا دخل جرثوم إلى الجسم، تتجه إليه عناصر استطلاع لتكشف تركيبه الكيميائي وتتجسس عليه، فتأخذ شفرته الكيماوية ولا تقاتله، بل تعود إلى "العقد اللمفاوية" التي تشبه مصنع أسلحة.. هنا تسلم هذه العناصر هذه الشفرة إلى خلايا أخرى مهمتها تصنيع سلاح مضاد لهذا الجرثوم، فيصنع السلاح ثم تأتي فِرقة مقاتله، تحمل هذا السلاح وتتجه نحو الجرثوم وتقاتله إلى أن تصرعه، فيُتَّصل بِفرق الخدمات لتنظيف أرض المعركة من الجثث.. كل ذلك يتم بتنسيق عجيب وبقدرة مذهلة.

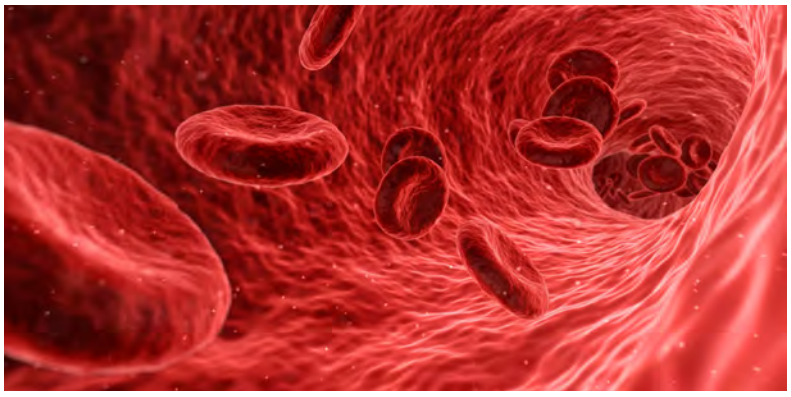

يحتوى المليمتر المكعب الواحد على خمسة ملاين كرية دم حمراء، ويبلغ قطر كرية الدم الواحدة سبعة من الألف من المليمتر وسمكها اثنان من الألف من المليمتر.

رقع الصفائح الدموية

وهي أجسام صغيرة يتراوح عددها من ١٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف في المليمتر المكعب من الدم، ولا يزيد طول الواحدة منها على ثلاثة من الألف من المليمتر.

أما مهمة هذه الصفائح هي الالتحام وقت الخطر؛ فتعمل على تجلط الدم لإيقاف النزيف الناتج عن جرح ونحوه، حيث تسارع إلى الوعاء الدموي الذي يتسرب منه الدم، ثم تتفسخ وتلتصق بجداره لتسده. وأما إذا كانت الثغرة كبيرة، فتُسرع فِرقة أخرى خاصة بالطوارئ تسمى الثرمبوسيتس، إلى تنفيذ المهمة، حيث تلتحم مع بعضها تحت تأثير أنزيم يسمى الثرمبوكينيز مكونة خثرة (Thrombus) يحمل إليها الدم مواد بناء جديدة باستمرار.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: ماذا يحدث يا ترى لو بدأت الفِرقة -لسبب ما- بالعمل في الوقت غير المناسب؟ مثل هذه الأفعال العشوائية تؤدي إلى وقوع حوادث خطيرة، فقد يتجلط الدم داخل الأوعية الدموية ويسدها. لذا يوجد بالدم فِرقة إنقاذ أخرى أي جهاز مضاد للتجلط، وهذا الجهاز يحافظ على أن لا يكون بالدم "ثرومبين"، إذ بمجرد ظهور "الثرومبين"، يقوم الجهاز المضاد للتجلط بإبطال نشاطه فورًا.

يتبيَّن من كل ما سبق أن هذه الأجهزة العديدة والفِرق المتنوعة، تقوم بخدمات الحراسة والتحكم والإنقاذ من جميع المخاطر المتوقعة على دولة الجسم، وتحقق ضمانًا لحركة أمواجه وعدم تغير تركيبه والإبقاء عليه ثابتًا. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

نور الدين صواش*

النقش

كلما ذكرت كلمة "النقش" تبادر إلى الذهن الرسم والنحت والتصميم والزخرفة التي تدل على الرقة والنعومة والجمال. ولا نقش من دون نقَّاش، وكل نقش يدل على ناقشه وصانعه. ولكن ما معنى لا نقش دون نقَّاش؟

إن النقش في الشيء، دليل على علم صاحبه والقدرة والإرادة والحكمة التي يتصف بها، لأن التصميم لا يكون إلا بعلم؛ ففي كل نقشة حساب دقيق وتناسب عجيب وتناغم بديع. وهلً يعقل أن يَرسم الفنان رسمته دون أن يعرف من أين يبدأ الخط وأين ينهيه، وأين يضع النقطة وأين يحذفها، وأين يُمَوضِع الحدود وأين يلغيها.. أو دون أن يعلم كيف يقيم صلة تناغمية وجمالية بين عناصر تصميمه؟

قد لا يكفي العلم وحده لِوضْع النقش البديع، بل لا بد من إرفاقه بالقدرة التي تضبط له القواعد والمعايير، كما يجب على هذه القدرة أن تثبت أمام العقبات دون ضعف، وبالتالي أن تظل تُساند العلمَ حتى يبقى حركيًّا وفعَّالاً. ثم لا بد من الإرادة لتطبيق العلم والقدرة وتفعيلهما وفق الغاية والمقصد المحددَين من قِبل صاحبهما، أيْ، لن يكفي العلم والقدرة أبدًا لإنجاز المهمة دون وجود الإرادة والعزيمة. ومن ثم إذا حدث نقص في الإرادة، أو

إذا تدخّل أحدهم في النظام بشكلٍ عشوائي، فلا مناص وقتئذ من أن تظهر العيوب والأخطاء والنواقص في النقوش والزخارف المصنوعة. ولا شك أن النقوش المجردة عن الحكمة، بمثابة خطوط منثورة على اللوحة فحسب، لا معنى لها في الشكل ولا في المضمون. ولكن إذا اقترنتْ هذه النقوش بصفة الحياة وتحلتْ بصفة الكلام ناطقة بلسان حالها، أي إذا تم ابتكار نقشٍ ينبض بالقدرة على التواصل الحي؛ عندها سيدرك الإنسان مدى عجزه عن محاكاة هذا النقش الحيوي، ومدى ضعفه أمام القدرة التي أبدعته.

إن الفلسفات التي ترفض الدين والخالق، تزعم أن الأرض ستبقى خالدة دون أي تغيير، كما ترى أن الحياة عليها سوف تدوم أبد الدهر، وبالتالي تتحدث بالتفاصيل المملَّة عن ماهية الموجودات وخصائص جميع الكائنات الحية والجامدة التي تعيش على تربة الأرض. بتعبير آخر؛ إن هذه الفلسفات تقوم بالتركيز على حروفِ كتاب الكون ونقوشه فقط، دون الاهتمام بالمضمون والمعنى.

إن الذي لا يعي معنى القرآن وروحه، يعتقد أنه مجرد حروف وأشكال، هذا بطبيعة الحال يَحرمه من فهم وإدراك الآيات والكائنات التي خلقتْها صفة القدرة الربانية -أو أحيتها صفة الكلام الإلهية- ومن ثم يؤدي ذلك إلى عدم الإحساس بمعانيها وعدم التمتع بروحانيتها.

إن جميع الكائنات في هذا الكون الشاسع، هي تجلٍّ لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وبرهان على جماله وبدائعه في الخلق.. كل شيء في هذا الوجود -صغيره وكبيره حيّه وجماده- انعكاس لأسمائه الحسنى، ونقوش ملموسة معجزة، تَعرض جماله الذي يبهر الأبصار ويأخذ بالألباب. كل نقش هو نافذة أو مرآة تطل على الأسماء الإلهية. أما الذين يقرأون النقوش بمعانيها الحرفية[1]، أيْ الذين يتأملون الناقش ويسعون لمعرفته، يدركون أن الدنيا ممرٌّ للآخرة فيجعلونها معرضًا تتجلى فيه أسماء الله القدسية. وأما الذين يقرأون النقوش بمعانيها الاسمية[2]، وبالأحرى الذين يتعلقون باللفظ فقط ولا ينظرون إلى المعنى الحقيقي، ومن ثم لا يعرفون النقَّاش الحقيقي لكل شيء؛ يتمسكون بوجه

الإنسان مرآة حية للأسماء الإلهية، ومعرض جامع تتجلى فيه شتى الألوان والنقوش.. هو مرآة بخلقته لاسمي الصانع والخالق، وهو مرآة بكماله لاسمي الرحمن والرحيم.

حراء

الدنيا الفاني ويهدرون أوقاتهم فيها هباء منثورًا.. ولو افترضنا أنهم صاروا حِرَفيين في النقش، إلا أن تغافلهم النقَّاشَ الحقيقي، يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم معرفتهم به، ومن ثم إلى عدم حبهم ومودتهم له.

من المعلوم أن الفلسفات والمذاهب اللادينية، تفصل بين الشاهد والغائب بل وتنكر الغائب، أو تفصل الغاية عن السبب وتقيم بحوثها على أساس فصل الغاية عن السبب، مركزة على علاقات السببية دون الاهتمام بالغايات وراء الحوادث والأشياء. إذ الإيجاد من العدم، أي إيجاد النقش بالعلم والقدرة والإرادة، وإنشاؤه بكامل ذراته وعناصره، ثم جعْله يجري بتناغمٍ مع نظام مذهل لا خلل فيه ولا فتور في حركته الدائمةً المستمرة.. يدل ويؤكد على أن ثمة قوة تدير هذا النظام بحساب دقيق وبعلم لانهائي.. وكيف يُعقل أن نُسنِد الإيجاد والخلْق إلى النقش ذاته وهو جزء من كلٍّ؟ إن عقلاً منقطعًا عن القلب، أو ذكاءً نفعيًّا خاضعًا للأهواء، لا يمكن أن يرى ما يكتنزه النقش في ثناياه من معان وروح، ينظر إلى النافذة والمرآة فيعجب بهما، ولكن لا يرى الأسماء المختبئة وراءهما ولا يدرك تجلياتها، ومن ثم يُحرَم من التمتع بالجمال والروعة.

إن الكون زاخر بالألوان الزاهية والنقوش الأخاذة.. كل واحد منها يشير إلى الذات المقدسة ﷻ التي تشتمل

hiragate.com

على جواهر الأسماء الذاتية. بالأحرى، تَمتُّعنا، نَشوتنا، سعادتنا، عزمنا، ميولنا، رغبتنا، اعتزازنا، راحتنا وغيرها من الأحاسيس والأحوال.. ما هي إلا انعكاسات لشؤونه اللانهائية، وصفاته العالية، وأسمائه الجليلة المنزَّهة عن القصور والنقصان.. إذ لولا فضله وكرمه علينا، لما استطعنا نحن بأحاسيسنا المحدودة ومشاعرنا الناقصة، أن ندرك صفاته وخصوصياته المطلقة الأزلية والأبدية.

إذن، كل فنٍّ عُرض أمام أنظارنا نحن البشر، وكل نقشة ازدانت بها الأرض التي نعيش عليها، ما هي إلا توقيع الذات القدسية المبدعة التي يَنفذ حكمها في كل شيء.

أما الإنسان فهو مرآة حية للأسماء الإلهية، ومعرض جامع تتجلى فيه شتى الألوان والنقوش.. فهو -على سبيل المثال- مرآة بخلقته لاسمي الصانع والخالق.. وهو مرآة بكماله لاسمي الرحمن والرحيم.. وهو مرآة بأخلاقه وتقلُّبه في النعم المادية والمعنوية ووقاره لاسمي الكريم واللطيف.. كما أن الإنسان بكل أعضائه وأجزائه، وبتركيبه وتصميمه البديع المعجِز، وأحاسيسه المعنوية الرهيفة وروحانيته، يعرض للعيان نقوش الأسماء الإلهية كل على حدة.. وكما يوجد ضمن الأسماء الإلهية اسمٌ معظَّم يشمل كل الأسماء ويتصدَّرها، فكذلك توجد نقشةٌ تشمل كل النقوش الكونية وتتصدَّرها، وهي الإنسان.

لذا يتوجّب علينا نحن البشر أن نسعى إلى إدراك حقيقتنا، وأن نتأمل هذه النقوش الإلهية المبثوثة أمام أنظارنا، حتى نتعرَّف على خالقها عن قرب، ومن ثم نحبه ونتقرَّب إليه عن كثب، وإلا فما الفرق بيننا وبين الكائنات الأخرى؟ ■

(*) كاتب وباحث تركي.

الهوامش

(1) المصطلح مأخوذ من معنى الحرف في النحو، وهو أنه لا يدل على معنى في ذاته إلا إذا التصق باسم آخر.

(2) المصطلح مأخوذ من معنى الاسم في النحو، وهو الذي يدل على معنى في ذاته.

د. عبد الإله بن مصباح*

شهر التحرر من رق الذات

إذا كانت لكل عبادة حكمة من أجلها شرع الله وجوبها، فإن الحكمة من صوم رمضان تكمن في كونه شهر التحرر من رِقّ الذات والعروج في شوارق الصفات؛ لأن رمضان بإماتته الشهوات في نفس الإنسان، يحقق له أسمى معالم التقوى بانتشاله من أوحال نفسه الذميمة، والرقي به في آفاق الصفات الجسيمة. فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به". واختلف العلماء في فهم وتفسير قوله تعالى: "إلا الصوم فإنه لي"؛ فمنهم من رأى أنه

رمضان هو تجديد العهد مع الله بالرقي في سلم كمالاته عن طريق الاتصاف بصفاته، حتى يكون العبد على مستوى مسؤولية الخلافة التي من أجلها جعله الله في هذه الأرض سيّدًا، وعلى درجة الأمانة التي من أجلها جعله الله لهذا الكون عَمَدًا.

كذلك لأن الصوم هو العمل الخالص الذي لا يشوبه الرياء، ولذلك نسبه سبحانه إلى نفسه.. ومنهم من فسَّر نسبته إلى الله تعالى على أنها من قبيل التشريف والتعظيم. ومنهم من تعمق أكثر في الفهم فبيَّن أن الصوم صفة من صفات الله المنزه عن الطعام والشراب وعن كل الشهوات، ومن ثم فالعبد بصيامه يكون طلب الارتقاء إلى صفات الله. إذن، كيف تتجلى آثار هذا الارتقاء على الصائم في رمضان؟

من التجليات العظيمة لشهر رمضان، أنك ترى الصائم فيه يترقى في أحواله من صفاته الآدمية إلى صفات الرحمن العلية. فأجوَد ما يكون المؤمن، وأكرم ما يكون، وأرحم ما يكون، وأطهر ما يكون، وأسمح ما يكون، وأعز ما يكون، وأسلم ما يكون الناس منه، وهو صائم في رمضان؛ ذلك لأن الصائم بصيامه إنما يطلب الاتصاف بصفة من صفات الله، ألا وهي التنزه عن الشهوات والدنايا. فينقله سبحانه في أحواله إلى باقي صفاته، وفي ذلك قال العلاَّمة عبد الله بن الصديق رحمه الله في كتابه "غاية الإحسان في فضل زكاة الفطر وفضل رمضان": "إن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات، من صفات الرب جل جلاله. فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفة من صفاته، أضافه إليه، قال القرطبي: "معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام، فإنه مناسب لصفة من صفات الحق. كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إليّ بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي".

فهذه الصفات التي بالصيام تقرّب العبد بها إلى ربه، هي في الأصل مبثوثة فيه منذ سواه ربه ونفخ فيه من روحه. وإنما تلاشت وتآكلت بفعل ما ألحقته بها العلل والأسقام التي طرأت على نفسه. فجاء رمضان ليحرره من هذه الطوارئ بإزالة الصدأ عن صفاته الأصلية وإعادة صقلها في كيانه.

فقد جاء في الحديث النبوي الشريف قول رسول ﷺ: "إن الله خلق آدم على صورته" (رواه مسلم) -وفي رواية "على صورة الرحمن"- للدلالة على أن الإنسان فُطر على صفات الله ﷻ. فكان أمره سبحانه للملائكة بالسجود لآدم في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(الحجر:٢٩) دالاً على هذا المعنى؛ إذ إن سر هذا المخلوق من سر روح الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض. لكن لمّا طال على هذا الإنسان الأمد، غار ذلك السر في كيانه وهمَد، فجاءه رمضان بالمد والمدَد ليستنهض فيه تلك الفطرة التي انطمس نورها في وجدانه وخمَد، لعله بكل صفة فيه تتجدَّد يعرج في مراتب الإحسان التي من أجلها الملَكُ له سجَد.

وفي ذلك يقول الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني رحمه الله -في إبعاد الغمم- في شرح إحدى حكم ابن عطاء الله السكندري التي يقول فيها: "لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف"، يقول: "لا يخرجك عن أوصاف نفسك الذميمة إلا شهود أوصاف ربك العظيمة.. فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله، وعن شهود صفاتك بشهود صفاته، وعن شهود ذاتك بشهود ذاته".

فإذا تحقق للعبد هذا العروج، تولاه ربه بالرعاية وأحاطه سبحانه بالعناية، فكان كما جاء في الحديث سمعه وبصره ويده ورجله؛ لأنه ﷻ يصبح النور المتغلغل في كل كيانه. وعليه، فإذا رأيت الشياطين سلسلت في رمضان وغُلت، فلأجل أن يعرف العبد حقيقة نفسه من هذا العروج فلا يُرجع الشر الصادر عنها إلى غيره. إذ لا ذريعة في هذا الشهر بالشيطان، بل كل ما صدر عن الإنسان من سوء، هو من رعونات نفسه، ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(يوسف:٥٣).

من أجل ذلك، كان رمضان مناسبة فريدة لتقويم نفس الإنسان وتطهيرها من العلل التي طرأت عليها والأسقام، فأبعدتها عن صفة الكمال التي من أجلها خلقها رب الأنام. فإذا جاء في الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ:

hiragate.com

"قد جاءكم شهر مُطهِّر" (الكامل لابن عدي) فللتأكيد على أنه المناسبة السنوية التي يطهِّر فيها الإنسان نفسه بالتحرر من كل ما طرأ عليها من أعراض شوهت جمالية الصورة التي فطرها الله عليها. تلك الصورة التي عليها خُلق الإنسان سويًّا، والتي صفاتُها من صفات الرحمن العلية.

ومن هنا يكون سبحانه -من خلال حرمانه عبده- في هذا الشهر، من موردات الأغيار وإمداده بواردات الأنوار، إنما أراد به أن يحمله إلى إشراقة صفاته الزكية، ويذكّره بقدسية حضرته العلية.. حتى تتصفى عنده الروح من غَبَش الحس، فتعرج في سلم الترقي إلى أصلها الذي سره من سر خالقها القائل في حقها: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(الإسراء:٨٥). فكان الإمداد الإلهي في هذا الشهر، من جنس الصفات التي تطلّع إليها العبد بصيامه (وأنا أجزي به). إذ يمده سبحانه عن تطلعه إلى جوده بالجود، وعن تطلعه إلى إحسانه بالإحسان، وعن تطلعه إلى كرمه بالكرم، وعن تطلعه إلى عزته بالعزة، وما إلى ذلك من الصفات التي إن اجتمعت في الإنسان كمُل مبناه وتمّ معناه.

ولهذا لما كان الكمال ذروة الصفات التي من أجلها خلق الله الإنسان، وكان هذا الكمال صفة الله المنزه عن أبعاد الزمان والمكان، جعل سبحانه في هذا الشهر ليلةً العبادةُ فيها خيرٌ من ألف شهر؛ شملها سبحانه بروحانية جليلة ونورانية عالية، وحباها بسر عجيب ورَوْح رحيب، فجعل الملائكة تتنزل والروح فيها بأمره، حتى يطويَ الزمانَ أمام الإنسان، فيعرج في أحواله من عوالم الغبَش البشرية إلى معالم التجريد الروحانية التي فيها تتصفى الروح من صفاتها الآدمية تطلب صفات الكمال السرمدية.. تلك الصفات التي بها كمُل الكون مسخرًا بكل مكوناته للإنسان صاحب الفكر والروية.

وهذا هو ما يجب أن يستحضره كل صائم في هذا الشهر، إذ هو شهر تجديد العهد مع الله بالرقي في سلم كمالاته عن طريق الاتصاف بصفاته، حتى يكون العبد على مستوى مسؤولية الخلافة التي من أجلها جعله الله في هذه الأرض سيّدًا، وعلى درجة الأمانة التي من أجلها جعله الله لهذا الكون عَمَدًا. ■

(*) كلية العلوم، جامعة ابن طفيل / المغرب.

وجوه الأمل

وجوهٌ عاشقاتٌ للجمالِ
تؤمِّل كلَّ خيرٍ من ظلالي
نحاولُ أنْ نلبِّيَ ما استطعنا
فلا نخشى القيودَ ولا نُبالي
وإنْ فشلتْ تجاربُنا تراها
ذُبولاً واصْفرارًا في المآل

***

د. زكي ساريتوبراك*

مدارس الخدمة وإسهاماتها في تحقيق السلام العالمي

لقد تحوَّل عالمنا إلى قرية صغيرة، حيث أصبح الناس أكثر اتصالاً من أي وقت مضى؛ وواصل التقدم التكنولوجي مسيرته بسرعة مذهلة، ولكن على النقيض من هذه الوتيرة المتسارعة للتطور التكنولوجي، يبدو أن بناء العلاقات الإنسانية قد أصبح أبطأ من أي وقت مضى، ناهيك عما يواجهه عالم اليوم من ظروف يعاني فيها ثلثا سكان العالم من العنف والحرب بين الأفراد.

وبالنظر إلى العنف المتفشِّي في عالم اليوم، وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة العنصر البشري وانقراضه عدة مرات، فمن الضروري أن يتبع المسلمون وغير المسلمين المبادئ الواردة في الآية القرآنية حول العلاقات الإنسانية، حيث يقول ﷻ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(النساء:١٢٨). ولا يمكن تحقيق المبادئ المثالية للإسلام التي منها مبدأ السلام، إلا من خلال التعليم، وبذا يمكن أن يكون عالمنا مهدًا للتحابِّ والإخاء.

قيم أساسية في حضارة الإسلام

هناك مبدآن أساسيان تقوم عليهما الحضارة الإسلامية، وهما التعاون المتبادل، وعلاقة المحبة المتبادلة بين الخلق، والمبدأ الأول هو المبدأ الذي يسميه علماء بناء السلام بالعمل التعاوني التضامني. ووفقًا لهذا المبدأ، يعتمد الكوكب على التعاون المتبادل بين جميع المخلوقات بمساعدة بعضهم البعض؛ فالمطر يساعد العشب على النمو، والعشب يساعد الحيوانات على النمو، والحيوانات تساعد البشر على النمو.. ويضرب هذا مثالاً للكائنات البشرية، وهو يعني أن "كل البشر لديهم أصل مشترك، فقد خلقهم الله جميعًا متساويين، ولذلك، يجب عليهم أن يساعدوا بعضهم البعض ولا يتجاهلوا احتياجات بعضهم البعض".

ويجد هذا المبدأ جذوره في الآية القرآنية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢)، ويتطلب المبدأ الثاني النظر إلى أن جميع أفراد الخلق إخوة وأخوات؛ ويتطلب أيضًا من كافة البشر أن يرفضوا أي شيء يضر بهذه العلاقة الجوهرية. وبالتالي، فإن كافة أشكال التعصب في الإسلام غير مقبولة "بما في ذلك العنصرية المتطرفة"؛ ولذلك، فإن التضامن المجتمعي هو أحد الأهداف التي رسخها الإسلام كمبدأ، وهناك أمثلة على ذلك في سيرة النبي ﷺ؛ فبعد هجرته إلى المدينة المنورة وضع النبي ﷺ ميثاقًا يُعرف باسم "ميثاق المدينة" ينص على المساواة بين أفراد المجتمع، وفي هذا الميثاق، اعتبر أهل الكتاب (على وجه التحديد هنا اليهود) جزءًا من الأمة الإسلامية. واليوم، فإن حركة الخدمة من خلال إتاحتها لفرص التعليم والتثقيف للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء، تسهم في إرساء مثل هذه الأخوة في جميع أنحاء العالم.

حيث يمكن للناس من خلال التعليم، أن يفهموا أهمية التنوع والتعايش المشترك؛ فالاعتراف بالكرامة الإنسانية، وفهم الأصول المشتركة للبشر، واعتبار الاختلافات أمرًا إيجابيًّا، والاعتراف بالأديان الأخرى، والوعي بأن الحكم يعود إلى الله وحده (وهو ما يكون

إن البحث الدؤوب من أجل إيجاد حلول عالمية للمشاكل العالمية المشتركة التي تواجه المجتمع البشري، والسعي إلى نظام عادل ورحيم وسلمي، هو التحدي الذي تواجهه الحضارة الإنسانية في القرن الحادي والعشرين.

يوم القيامة).. كلها أمور مرتبطة مباشرة بإنشاء نظام تعليمي سليم يستجيب ويلبّي جميع احتياجات البشر.

إن النظرة الإسلامية للمجتمع الإنساني، تقوم على مبادئ الانسجام والمعرفة والعدالة والسلام.. فالحروب وأعمال العنف رغم أنها جزء من تاريخ كل دين عالمي كبير، لا مكان لها في جوهر الإسلام.

وعلى الرغم من هذا الهدف المثالي، فإن القرآن الكريم يقر بحقيقة الطبيعة البشرية، والنزاعات المحتملة التي قد تنشأ بين الشعوب، ومع ذلك، فإنه يشجع المؤمنين باستمرار إلى الميل نحو الانسجام والأخوة والمحبة. وكما يتمثل كولن: "لا يدَ لي أوجهها لمن ضربني، ولا لسان لي ضد من سبّني، ولا ألطّخ بالانتقام قلبي".

إن تثقيف الناس وإرساء السلام يعدُّ من أصعب المهام بالنسبة للبشر، وهي عملية طويلة تتطلب الصمود والعزم والصبر؛ لأنها قد تستغرق أجيالاً حتى يتحقق السلام العالمي. ولذلك يشجع القرآن الكريم بُناة السلام في هذا النضال، من خلال تذكيرهم بالثواب والأجر الأخروي الذي سيحصلون عليه، وحتى لو لم ينجحوا بشكل تام فسينالون مكافآتهم على أعمالهم. وبالتالي يجب ألا يفقدوا الأمل خلال مسيرة نضالهم من أجل السلام، فحتى الملائكة في الجنة سوف تحيي صنَّاع السلام في بهجة وسرور: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وسوف يقولون: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(الرعد:٢٤).

وقد علّم النبي ﷺ نفسُه أصحابَه، وكان لديه مدرسة شهيرة تُعرف باسم الصُفَّة، وكان أولئك الذين يحضرون هذه المدرسة معروفين باسم "أهل الصُفَّة"، أو "أصحاب الصُفَّة". وهناك عبارة شهيرة تقول: "إذا كنت تعتقد أن ثمن التعليم باهظ، ففكر في ثمن الجهل".

hiragate.com

تأثير مساعي كولن

لقد بدأ سعي كولن الشغوف بالتعليم في سن مبكرة، في الوقت الذي كانت فيه الفوضى والتشوش يهيمنان على المجتمع التركي. وفي السبعينيات، كان طلاب الجامعات والمعلمون وحتى بعض الأساتذة متأثرين تأثرًا شديدًا بالماركسية، وكانت الجماعات الماركسية والقومية في صراع مسلح مع بعضهم البعض، وقد قُتل أكثر من ١٠ آلاف شخص في تركيا خلال عقدين من الزمن بسبب هذه الاشتباكات. وحتى الأُسَر لم تكن في مأمن من هذا العنف، إذ كان يمكن أن تجد أفرادًا من العائلة نفسها يتقاتلون في أطراف معارضة.

لقد بذل كولن كافة الجهود لإخماد نار الصراع وسط هذه الفوضى وكرَّس نفسه لتعليم الناس. فقد كان مختلفًا عن أقرانه من علماء عصره، إذ حثَّ الناس على بناء المدارس، وعندما وجد الناسَ حريصين على بناء المساجد كان يقول لهم: "ابنوا المساجد من خلال بناء المدارس، فإن أفلحتم في بناء المدارس، فسيعمل خرّيجوها على بناء المساجد".

وفي عبارة حديثة، وصف كولن جوهر حركته بما يلي: "من أجل إظهار الوجه المشرق للإسلام الذي تلطخه أعمال الإرهاب من قبل الانتحاريين، ومن أجل عيش الإسلام بشكله الصحيح كما كان الحال في وقت النبي الكريم ﷺ، ومن أجل إعداد بيئة تنمو فيها فكرة القبول الإلهي في قلوب الناس.. وباختصار، لكي نعيش ونعبر عن الإسلام في شكله ومضمونه الحقيقي. ومن جانب آخر وبانزلاق البشرية نحو اتجاه سلبي بتطويرها لأسلحة الدمار الشامل؛ والتي تنذر بدخول البشر في صراع محتدم، مما يجعل العالم مكانًا غير صالح للعيش فيه. لذلك، نحن بحاجة إلى إنشاء جزر سلام من أجل منع هذه الصراعات المستقبلية المحتملة إلى حد كبير؛ وعلينا أن نبذل جهودنا في هذا الاتجاه حتى نتمكن من إرساء دعائم السلام والتصالح والمشاركة.

لقد كانت جهود كولن تعليمية بشكل أساسي، ويمكن القول إنه لم يُوقف النزاع المسلح بشكل مباشر، لكن جهوده من خلال التعليم قد سلَّحت الشباب بالقيم والمبادئ التي تمنعهم من الانخراط في الصراعات.

تأثير مساعي كولن في العالم

ليس من قبيل المبالغة أن نؤكد أن مساعي كولن التعليمية والتثقيفية، لها تأثير عالمي في خيرِ ورفاهية المجتمعات المختلفة، وسوف تستمر في إحداث هذا التأثير، وليس هناك شك في أن أعظم جهود كولن وإسهاماته ترتبط بهذين المجالين. هذا وقد أوضح أن هناك ثلاثة أعداء رئيسيين للمسلمين: الجهل والفقر والانقسام الداخلي. وإذا نظرنا نظرة فاحصة لعالمنا الحديث، يمكننا أن نفهم بسهولة أهمية التعليم، وخاصة للمسلمين الذين يشكلون ٢٢٪ من سكان العالم؛ فالنمو السكاني بين المسلمين أسرع من أي سكان آخرين في العالم، في حين أن معدلات التعليم لا تزال منخفضة بشكل ملحوظ. ويعتبر كولن أن نقص التعليم بمثابة داء يجب السعي لعلاجه.

واليوم في تركيا وآسيا الوسطى ومناطق أخرى من العالم، تواصل المؤسسات التعليمية التي أنشأها مُحبُّو كولن الإسهام بشكل كبير في تعليم وتثقيف الناس من مختلف الديانات والعرقيات. وفي الواقع، فإن جيله الذهبي أسهم بالفعل -من خلال المساعي التعليمية- في إرساء السلام في كثير من مناطق الصراع، ولا سيما في البلقان وشمال العراق والفلبين.

هذا وقد تحدث "توماس ميشيل" في مقال له، عن مدرسة أنشأها مُحبو كولن في جزيرة ميندانا الفلبينية؛ فقد زار "ميشيل" منطقة من الجزيرة حيث كان الاختطاف وحرب العصابات والنزاع المسلح مستمرًا بين الانفصاليين من جبهة "مورو" والدولة الفلبينية. ويقول ميشيل: "تقدم المدرسة -التي تُسمى المدرسة الفلبينية التركية للتسامح- للأطفال الفلبينيين المسلمين والمسيحيين تعليمًا ممتازًا، وبطريقة أكثر إيجابية للعيش والتواصل مع بعضهم البعض". وقد وجد ميشيل في هذه المدرسة طلابًا من جميع الخلفيات، ووصفها بأنها "جنة السلام" في هذه المنطقة التي تعج بالصراعات.

وهناك مثال آخر يأتي من تجربتي الخاصة، عندما قمت بزيارة مدينة "سكوبيه" في "مقدونيا" صيفَ عام

hiragate.com

hiragate.com

٢٠٠٤، حيث أُتيحت لي الفرصة لزيارة مدرسة أنشأها بعض رجال الأعمال الأتراك الداعمين لحركة كولن؛ وقد قيل لي إنه عندما كانت الحرب الأهلية تدور رحاها في تلك المنطقة، كان الأفراد من مختلف الأعراق يرسلون أطفالهم إلى هذه المدرسة. وبينما كان الآباء يتقاتلون، كان الأطفال يعيشون بسلام تحت سقف المدرسة نفسها.

واستنادًا إلى هذه الجهود، فإن كولن يحدوه الأمل في المستقبل، حيث يقول: "ومن يدري؟ فربما في المستقبل القريب يقوم بعض الأشخاص من ذوي الإيثار، والذين يضحون بأنفسهم حتى يعيش الآخرون، بتوحيد القلوب والعقول من خلال جهودهم، حيث سيصبح الضمير والعقل بُعدَين مختلفين ومتأصلين في حياتهم يُكمل كل منهما الآخر. سوف تتخلى الفيزياء والميتافيزيقيا عن الصراع من أجل إعطاء الفرصة لجمال كل شيء للتعبير عن نفسه بلغته الخاصة، ويعود كل إلى مجاله الخاص. سوف يكتشف هؤلاء الأشخاص الناكرون للذات، الترابط بين الأمر الإلهي وقوانين الطبيعة، سوف يندم الناس على صراعاتهم السابقة مع بعضهم البعض.. سيتم إرساء جو من الصفاء يشعرون به في المنازل والمدارس.. لن تُهان أيّ كرامة.. ستكون القلوب عامرة بالاحترام، إلى درجة أنه لن يتعدى أحد على ممتلكات أو كرامات الآخرين.. سوف يتصرف القويُّ بعدالة، حتى يتسنى للضعفاء والفقراء فرصة العيش بإنسانية.. لن يتم القبض على شخص لمجرد اشتباه، ولن يتعرض منزل أي فرد أو نشاطه التجاري للهجوم.. لن تُسفك دماء الأبرياء، ولن يصرخ أي شخص مضطهد، وسيحب جميع البشر بعضهم البعض.. وفي هذه اللحظة بالفعل سيصبح العالم، الذي يُعد جسر عبور إلى الجنة، مكانًا مثل الجنة نتمتع فيه دائمًا".

عوامل نجاح أبناء الخدمة

إن نكران الذات له قوة هائلة في بناء السلام المستدام، ويساعد نكران الذات أولئك الذين يكرّسون أنفسهم من أجل السلام، على فهم أفضل لحال الضحايا ومعاناتهم. فمن خلال العيش من أجل الآخرين، يعتقد كولن أن

الاعتراف بالكرامة الإنسانية، وفهم الأصول المشتركة للبشر، واعتبار الاختلافات أمرًا إيجابيًّا، والاعتراف بالأديان الأخرى، كلها أمور مرتبطة مباشرة بإنشاء نظام تعليمي سليم يستجيب ويلبّي جميع احتياجات البشر.

الفرد المثالي يجب أن يُفضل دائمًا مزايا الآخرين على مزاياه.. وهذا هو السبب الرئيسي وراء مغادرة آلاف المربين منازلهم، وهجرتهم إلى جميع أنحاء العالم لتعليم وتثقيف الأجيال الناشئة. وهذا في الواقع ما كان يميز صحابة النبي الكريم ﷺ كما تكلّم عنهم القرآن الكريم، حيث تقول الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(الحشر:٩). وهذا هو السبب في تأكيد كولن باستمرار على حاجة الأفراد المؤمنين والناكرين للذات، إلى تكريس أنفسهم لإحلال وإرساء السلام، وينبغي أن تضطلع المؤسسات التعليمية بدورها في نقل هؤلاء الأفراد من عالم الخيال إلى عالم الإدراك.

ومرة أخرى يتجلى أمله الكبير في العبارة التالية: "ذات مرة، على الرغم من العقبات العابرة للقارات، تم تحقيق الحب والاحترام والحوار الدائم، من خلال تعاليم القرآن. وفي هذه الأيام لديّ إيمان تام، أنه من خلال جهود هذا الشعب الطيب سيظهر جو جديد، وتفاهمات جديدة وحوار جديد. ومن خلال المهاجرين الذين يحملون هذه الفكرة إلى جميع أنحاء العالم، بدأت أنهار الحب في التدفق. وها نحن نسمع صداها الآن يتردد في كل ركن من أركان المعمورة. بدأنا نشعر بنسيم الهدوء والسعادة، وها هم يقيمون في كل ركن من أركان العالم، جزرَ سلامٍ من أجل الاستقرار والوئام".

ووفقًا لكولن، فإن جيله الذهبي المثالي سوف يفكر دائمًا في خطوات إيجابية للسعي من أجل التعليم، ولن يتشتت جيله الذهبي بسبب الأخطاء التاريخية؛ فعلى الرغم من بعض التجارب التاريخية السلبية مثل الحروب الصليبية والاستعمار، فقد أكد على ضرورة نسيانها قائلاً: "نحن عازمون على عدم تذكر تلك

hiragate.com

الأحداث، وعدم إعطاء فرصة لإحياء روح العداوة، ونحن نشجع بقوة أن تنحصر الأخطاء التاريخية في حدود كتب التاريخ، حتى لا نُعيد إحياء مشاعر العداوة بين الناس".

وأضاف كولن واصفًا جيله المثالي قائلاً: "الجميع بقدراتهم، هُم رسل للإحياء، يحملون في أيديهم زهور الصداقة، وعلى شفاهم أغاني الأخوة، ولسانهم الذي يأخذ جوهره من بلاغة القرآن هو أقوى من أي سيف، وكلماتهم موجهة نحو الحياة الآخرة، وهذه الكلمات تحطم الظلام دون الإضرار بأي شخص". وفي عالم كولن المثالي، "لا يوجد تسلط ولا جشع ولا مشاحنة ولا تخوين ولا أكاذيب ولا قمع ولا خداع.. بل على العكس من ذلك، تسود الشهامة والعطف وجهود الإحياء، وحب الحياة واللطف والحوار، واحترام الحقيقة والثقة، والإقرار بالطيبة والكرم، وروح البر والعدالة، واتباع الطريق المستقيم".

وقد اقترح كولن على محبّيه أنه يجب عليهم أن يستثمروا في الإنسان في المقام الأول، مع العلم بأن أي استثمار في الإنسان قد يستغرق سنوات، لذلك يجب على الناس التحلّي بالصبر في توقعهم للنتائج.

لكن كولن يثق في نهجه ومدى توافقه مع تعاليم الإسلام الأساسية، ولم يفقد الأمل قطُّ، وكان يعتقد دائمًا أن الجهود المبذولة للتعليم سوف تؤتي ثمارها في نهاية المطاف. وعندما أُغلقت جميع الأبواب أمامه، وأعلنت وسائل الإعلام والنخبة العلمانية أنه شخص غير مرغوب فيه لدرجة أن حياته كانت مُهددة. على الرغم من تلك المصاعب التي واجهها كولن خلال عملية الاتهامات والاضطهاد الروحي والنفي، لم يسع أبدًا للانتقام، فقد قال: "سوف نحترم شخصيتنا، ولن نضر بمن اضطهدنا، ولن نسعى للانتقام، ولن نسبّهم أبدًا، ولن نكسر القلوب.. وبطريقة يُونس أَمْرَه -الشاعر التركي الشهير في القرن الرابع عشر- سوف ندعو الجميع إلى الحب... ولأنني مؤمن، أعد بأنني لن أتجاهل أي شخص، ولن أضطهد أولئك الذين يخالفونني". ووفقًا لكولن، فإنه بمجرد أن يُسلَّح المرء بالحب والرحمة، لن يكون هناك فرق بين "أنت" و"نحن" و"الآخرين". ويعتقد كولن أن الحب ضروري من أجل بناء السلام، وعلاوة على ذلك، فاليوم "نحن بحاجة إلى الحب والرحمة أكثر من حاجتنا إلى الماء والهواء".

إن مفهوم الرحمة في تعاليم كولن، هو أحد أهم المبادئ في فهم كولن للتعليم، ففي العُرف الذي نشأ فيه كولن، كان فهمه أنه لا يهم مدى صغر المرء، فكل مخلوق يثني على الله بلغته الخاصة، وبالتالي يستحق احترامه المناسب ورحمته، يقول كولن:

"الرحمة هي بداية الوجود، وبدونها تعم الفوضى في كل شيء. فقد خُلق كل شيء بالرحمة واستمر الوجود في انسجام بسبب الرحمة.. وكل شيء يتحدث عن الرحمة ويعد بالرحمة. ونتيجة لذلك، يمكن اعتبار الكون سيمفونية من الرحمة، تنادي فيه جميع أنواع الأصوات بالرحمة، لذلك من المستحيل عدم إدراكها، ومن المستحيل عدم الشعور بالرحمة الواسعة التي تحيط بكل شيء، وكم هي مؤسفة تلك النفوس التي لا تدركها.. فالبشر يتحملون مسؤولية إظهار الرحمة لجميع الكائنات الحية كمطلب ضروري حتى يكونوا بشرًا. وكلما زاد إظهار المرء للرحمة عَلا شأنه، وكلما كثر لجوء المرء إلى الخطأ والاضطهاد والقسوة زاد كره وإذلال المرء، وأصبح عارًا على الإنسانية. وقد عبر كولن عن التعاليم القرآنية للرحمة بوصفها عنصرًا هامًّا في بناء السلام بقوله:

"إن البحث الدؤوب من أجل إيجاد حلول عالمية للمشاكل العالمية المشتركة التي تواجه المجتمع البشري، والسعي إلى نظام عادل ورحيم وسلمي، هو التحدي الذي تواجهه الحضارة الإنسانية في القرن الحادي والعشرين. ومواجهة التحدي هو تحقيق لرؤية الله في احتضان البشرية جمعاء، والقيام بذلك هو المعرفة برحمة الله. ■

(*) جامعة جون كارول في كليفلاند، أوهايو / الولاية المتحدة الأمريكية.

الترجمة عن الإنجليزية: بدران حامد.

hiragate.com

محمد حجاج*

المهمة الكبرى اليوم، أن نساعد أجيالنا على أن تعي ذاتها وتتوحد مع روحها، وننقذها من أسر المادة، ونشحن قلبها بالمثُل العليا والغايات السامية.

الموازين

مداعبات في طريق الإبداع

١

الإبداع روحٌ أخرى تسري في أجسادنا، وفيضٌ من عطايا الرب يتجسد في عقائدنا، ومَلَكَةٌ نورانية تنبت في دواخلنا.. لا يكشفه إلا كاشف، ولا يكتنفه أحدٌ من غير آنف، فإذا استولده ذووه ولم يعتنوا به تلحَّد في مهده، وإن طيبوه وحفُّوه بكل ما أوتوا، وصقلوه بحدِّ ما لا حد له، تخلَّد من مولده، وما أقلَّ من يفعلون.

إنه غيرُ محصور ولا محدود، بل هو في شِرْعَتِنا محمود وممدود، فكل ما يغاير المعتاد، وما يجعل من طين الخوالج كنائز الرماد، وما يحيل التراب إلى تبر بالمداد، وما ينظر إلى الأنجام في

الإبداع روحٌ أخرى تسري في أجسادنا، وفيضٌ من عطايا الرب يتجسد في عقائدنا، ومَلَكَةٌ نورانية تنبت في دواخلنا، لا يكشفه إلا كاشف، ولا يكتنفه أحدٌ من غير آنف.

الحقول، ويرى الأزاهر في أعالي السيول، وما يجعل من النظرة قصة وحكاية، ومن يشرع بعد عوابر المواقف إلى مكتوب له بداية دون نهاية، أو ليس من بداية تعقب النهاية.. ومن يسرد شاعرًا، ويشعر ساردًا، ويصيّر الزمان مكانًا، ويسيّر المكان زمانًا، ويشخّص المجردات، ويجسّد المعنويات، ويشرق نحو الأذهان بجميع الحسّيات، في ألفة غير مألوفة، وسبكة ليست بمعروفة، وحبكة لا مصروفة ولا ملهوفة، ومقامات لا تهاب، لا في الذهاب ولا في الإياب، فها هنا يكون الإبداع.

يا صاح لن تعجبَ كثيرًا، إذا عَرَفْتَ أنَّ الفِكْرَ لا يُرَوِّضُه إلا مفكرٌ أديبٌ، ولا يُعْضِدُه إلا مُذَكِّرٌ أريبٌ.. وإن الكتابةَ حديثُ الوجدان إلى بني الإنس والجان، ولا يستقيم هذا الحديثُ ما لم يستقم السماعُ، ولن يستقيمَ السماعُ إلا إذا تحققت له عوائلُ الإبداعِ، ونواضرُ الإسراعِ إلى كل ما تسمو به النفسُ، وتصفو له كل مكادير الهوى والقلب والحس.

هذا شَذَى أيّ كاتبٍ، سواء أكان قد احترفَ الكتابةَ احترافًا، أم ابترأها بفطرته ابتراءً.. فالشذى ليسَ برائحةِ المسكِ الحسنةِ، أو بطيبِ العطرِ والنسيم الراقي فحسب، بل هو ما تشهدُه العيونُ فتبصرُه، وتنتصتُ الآذانُ له فتميزه وتُقْدِرُه، وتستنشقُه الآنافُ فتُعْطِرُه، وتستذيقُه الشفاهُ فتستسيغُه.. وإلى البطونِ تُمْطِرُه، وترتشفُه الألسنُ فتستلذُّه وتشكرُه، ويحدُسُه الفؤادُ فيهواه، حتى يصطفيه ويرضاه.

وأما المدادُ فقسمةُ الله متحديًا به خلقه حيثُ النوافد، وأداةُ تدوين الفرائد والشوارد، ومنبعه تحييد كل مارد، ولولاه ما عرف الناس أول المكائد والموائد، ولَغَابَتْ عن كل حيّ قصص وموارد، ولشاعت بينهم كل سوءات ومفاسد.. ثم هم لا يدرون آنيتَها ومصيرها، وما إذا كان لذواتها شيءٌ مُسَانِد وسواعد، وإذن فليس المداد لدى الكتبة وأربابه بسائل ذي ألوان، أو نائل به لا يستهان، أو لوازج تمتطي الآسر الولهان، بل هو نفس وروح ودم وشريان.

ثم إن البَيْنِيَّةَ الوسطى مقصودةٌ في ذاتها ولذاتها، ألا ترى أن الزمردةَ توسَّطت عقدَها، وأن الفؤادَ انتصافُ القلبِ، وأن الكعبةَ قد شطرت الأرضَ وتمركزت في وسطها.. فكذا يأتي أيُّ مُؤلَّفٍ في حينه، ليقتدرَ لنفسِه العلائيةَ الناضجَ قرينه، ويضحى كمن نظر إلى السماءِ ولم يرَ سوى الثَّاقِبِ في سَحَرٍ حالك، وإذا بكل تائهٍ يستدلُّ به اتقاءَ المهالك، وإن كانَ في عمومِه غير سابق، فقد انمازَ من كلِّ لاحق.

ولهذا اتصف نظراؤه أشياعًا وَزُمَرًا وفُرَادَى بالرمادِ المُدْقِع؛ إذ لم يعد لهم قدرُ ذرٍّ من نفع، وبات كلامهم معادًا مكرورًا، وسَيْطَرَ التقليدُ والتغريبُ والتمريكُ على دواخلهم، ومن قبلُ كانت خوارجهُم سوءًا مدحورًا، فإذا نظرت في مكتوباتِهم أُصِبْتَ بالغثيان والقيئات، ولم تحتمل أن تعودَ بصيرًا، فلسانهم اجتهل، وبيانهم اغتهل، وصارت معانيهم رمادًا تذروه الرياح، وكان الله على ذلك ساخطًا، ونبيه غضبان أسفًا، فبئسما خلفتموه ولم تتبعوه، وهو أفصح الناطقين الضاد قاطبة بيد أنه من قريش.

يا صاح! نحن نعيشُ في زمنٍ تحارَبُ فيه العربيةُ الفصحى من العُرْبِ قبلَ الغَرْبِ، وباتت تصارعُ أمواج العامية، وتكافحُ أعاصيرَ الفرانكية، وتجابه سيولَ الإفرنجية، واتهمت بالبهتان، اقتصارَها على تصويرِ خلجاتِ الوجدانِ، وأن ليس لها في العلوم من بأسٍ ولا شانٍ، وقد غفلوا بل تغافلوا حضارة ألف عام بل يزيد، للإسلام في ربوع الأرض وأمصارها، مشارقها ومغاربها، حتى انحدر أهلُها فانحدرت معهم، وذُلُّوا فَذَلَّت، وضَعُفُوا فضعُفَت، واستكانوا وما استكانت، ووهنوا وما وهنت، إن هي إلا ذكر من رب للعالمين، "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، وَلَتَعْلَمُنَّ حقيقه وصدقه بعد حين. ■

(*) شاعر وأديب مصري.

hiragate.com

السنوسي محمد السنوسي*

لحظة مكثفة

أمام جلال الموت وسطوته يقف الناس جميعًا مستسلمين، وجلة قلوبهم خاشعة أبصارهم.. لا تَرى لهم حركة، ولا تَسمع لهم حسًّا، ينتزعهم الموت من دوّامة الحياة التي لا تكفّ عن الدوران، فإذا هُم كأنهم أمام أمر لم يكونوا يتوقعون حدوثه في أية لحظة. والعجيب أنهم يعرفون تمام المعرفة من قبل وقوعه، أنه حين يأتي لا يطرق بابًا ولا يهاب حُجّابًا ولا يستأذن أحدًا، فتلك طبيعته وخاصيّته. ومع ذلك فإنهم يبدون أمام بغتة الموت وكأنهم كانوا يتوقعون منه أن يُخالف ما عُرف به، وليس على من تصرف حسب طبيعته ملام، إنما

حين يمدّ الإنسان بصره إلى ما بعد الموت، ويصله بما قبله في حلقات مترابطة وسياق واحد، فإنه لا يتوقف كثيرًا عند لحظة الموت مهما عظمت، ولا يجزع ولا ييأس عند فَقْدِ الأحبة مهما كان فَقْدهم مؤلمًا، بل يكون مشغولاً عليهم ومشفقًا مما صاروا إليه.

الملام على من طلب من الأشياء غيرَ طبيعتها، وأرادها على غيرِ ما جُبلت عليه.

في التصور الإسلامي، لا تعدو لحظة الموت أن تكون مرحلة من مراحل الحياة، شأنها في ذلك شأن لحظة الميلاد، وهذه هي المراحل -باختلافها وتضادها- تُسلم الإنسان إلى أجلٍ هو بالغُه، ومستقرٍّ هو صائرٌ إليه.. لا مفرّ من ذلك ولا مهرب. ولأن الأمر هكذا، يجب ألا تشغلنا كثافةُ المعاني التي تمتلئ بها لحظة الموت -والتي بسببها يصير الناس في ذهول كما أسلفنا- عن تلمُّس العبرة والعظة، ورؤيةِ الخيط الدقيق الذي يصل ما قبل الموت بما بعده. فليس الموت نهاية التاريخ ولا ختام الحياة؛ إنما بعده حساب وجزاء وجنة أو نار. وحين يمدّ الإنسان بصره إلى ما بعد الموت، ويصله بما قبله في حلقات مترابطة وسياق واحد، فإنه لا يتوقف كثيرًا عند لحظة الموت مهما عظمت، ولا يجزع ولا ييأس عند فَقْدِ الأحبة مهما كان فَقْدهم مؤلمًا، بل يكون مشغولاً عليهم ومشفقًا مما صاروا إليه بدل أنْ يُشغَل بهم، ويحزن لهم أكثرَ مما يحزن عليهم.

يحفظ لنا تراثنا واحدًا من أروع مواقف الرثاء، يعلمنا كيف يكون حالنا عند فراق الأحبة، وكيف نرى الموتَ في حقيقته ودلالته، وكيف تكون النفوسُ العامرةُ بالإيمان مطمئنة إلى قدر الله، وراضية عنه غاية الرضا.

لمّا مات ذرّ الهمداني فجأة، جاء أبوه فوجد عياله يبكون، فقال لهم: ما لكم!؟ والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق، ولا أصابنا فيه ما أخطأ مَنْ كان قبلنا في مثله.. ولما وضعه في حفرته قال: رحمك الله يا بُني، وجعل أجري فيك لك، والله ما بكيتُ عليك وإنما بكيتُ لك، فوالله لقد كنتَ بي بارًّا، ولي نافعًا، وكنتَ لي محبًّا، وما بي إليك من وحشة، وما بي من أحد غير الله من فاقة، وما ذهبتَ لنا بعزة، وما أبقيتَ لنا من ذل، ولقد شغلنا الحزنُ لك عن الحزن عليك.. يا ذرّ، لولا هول المطلع لتمنيتُ ما صرتَ إليه، فليت شعري ماذا قلتَ، وماذا قيل لك!؟ ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنك وعدتَ الصابرين على المصيبة ثوابَك ورحمتَك، اللهم وقد وهبتُ ما جعلتَ لي من الأجر إلى ذرّ صلةً مني، فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحًا، وتجاوز عنه فإنك رحيم بي وبه، اللهم وقد وهبتُ لك إساءته لي فهب لي إساءته إليك، فإنك أجود مني وأكرم.. اللهم إنك قد جعلتَ لكَ عليه حقًّا، وجعلتَ لي عليه حقًّا قرنته بحقك، فقلت: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

اللهم إني قد غفرتُ له ما قصَّرَ فيه من حقي، فاغفر له ما قصَّرَ فيه من حقك، فإنك أولى بالجود والكرم.. فلما أراد الانصراف قال: يا ذرّ! قد انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا عندك ما نفعناك.

ففي هذا الموقف الذي يفيض حزنًا وأسى بفراق فلذة الكبد، لم ينس أبو ذرّ الهمداني أن يذكّر نفسَه وأحفادَه بحقائق هي أوضح من الشمس، لكنها قد تغيب في مثل هذه المواقف.. والصبر حقًّا عند الصدمة الأولى.

إننا لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا قد استوعبنا ما في لحظة الموت من معانٍ مكثّفة، إنْ وقفنا عند الحزن والبكاء على فقد الأحبة، ولم نتجاوز ذلك إلى استدراك ما فاتنا من خير، والاعتبار بمن سبقنا إلى دار الحق، وأصلحنا ورجعنا وتُبْنا وأنَبْنا.. فإنْ حصل ذلك واستدركنا، كان الموت مُذكّرًا ومُنبّهًا ومُعينًا.. وساعتها لن يخلو من فوائد، حتى وإن فرّق الشملَ وأحزنَ القلبَ وأسال الدمعَ، وباعدَ بيننا وبين مَن نحب؛ فعزاؤنا أنْ نلتقي عند الله سبحانه، وننعم بجواره الخالد، حيث لا هَمَّ ولا حَزن ولا فراق. ■

(*) كاتب وباحث، وسكرتير تحرير مجلة التبيان / مصر.

hiragate.com

العربي السيد عمران*

لا تحزني وتبسمي

ما زالتِ النجماتُ
تلمعُ باسماتٍ في السماءْ
تُومِي بطَرْفِ الحُسْنِ للعشاق
في حِضْنِ المساءْ
وتداعبُ الأقمارَ والسمَّارَ تشْدو بالضياءْ
لم تخشَ غدرَ الليل أو هَوْلَ الفضاءْ
رِفْقًا بنفْسكِ دائمًا ولترْحَمِي
لا تحزني.. وتبسّمي

***

ما زالت الأرحامُ تُهْدي
كلَّ يومٍ للوجودِ وللبَشَرْ
رغمَ اختناقِ النّورِ حينًا في وليدٍ يُنْتَظَرْ
ما زال صافي الماءِ يجْري في النَّهَرْ
متخطّيًا كلَّ السدودِ أو الحدودِ
يجيءُ لا يخْشى الخطرْ
والموجُ يعْشقُ شَطَّهُ
رغمَ الذي يلقاهُ من طولِ السفَرْ
فَلِمَ التشاغلُ بالهموم؟! تكلمّي
لا تَحْزني.. وتبسّمي

***

ما زالت الأطيارُ تصْدحُ في الغصونِ ولم تمَلّ
رغْمَ اقتناصِ الصيدِ منها
واشتدادِ البردِ عاشتْ لم يغِبْ عنها الأملْ
ما زالتِ الأزهارُ ترسلُ عطْرَهَا
في كلِّ ناحيةٍ شفاءً من عِلَلْ
رغمَ التفافِ الشوكِ حولَ قَوَامِها لكنّها
بالشوكِ من عبثِ الأيادِي تحْتمي
لا تَحْزني.. وتبسّمي

***

ما زالتِ الآمالُ مشرقةً على وجْهِ الصغارْ
وتداعبُ الأحلامُ وجْناتِ الطفولةِ
رغمَ زلاتِ الكبارْ
والحبُّ يبْدو في احمرارِ الخَدِّ
عفوًا واستباقِ الودِّ من دارٍ لدارْ
في كلِّ يومٍ مُقبلٍ
يَفْترّ ثغرُ الشّمسِ عنْ ضوءِ النهارْ
فتصبّري وتجمّلي وتنعّمِي
لا تَحْزني.. وتبسّمي

(*) شاعر وأديب مصري.

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

الإخراج الفني
نور الدين محمد
ياووز يالمز

منسق الاشتراكات
علاء الكوابري
+201000780841
+201023201002

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-66

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
هاتف: +20123201002 - +201066067034
hirasubscription@gmail.com
اشتراك وتوزيع هاتف: +201116793277

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211

- مقالات علمية..
- دراست موضوعية..
- حوارات ومستجدات حول مشاريع الخدمة..

الإصدارة
الجديدة
5

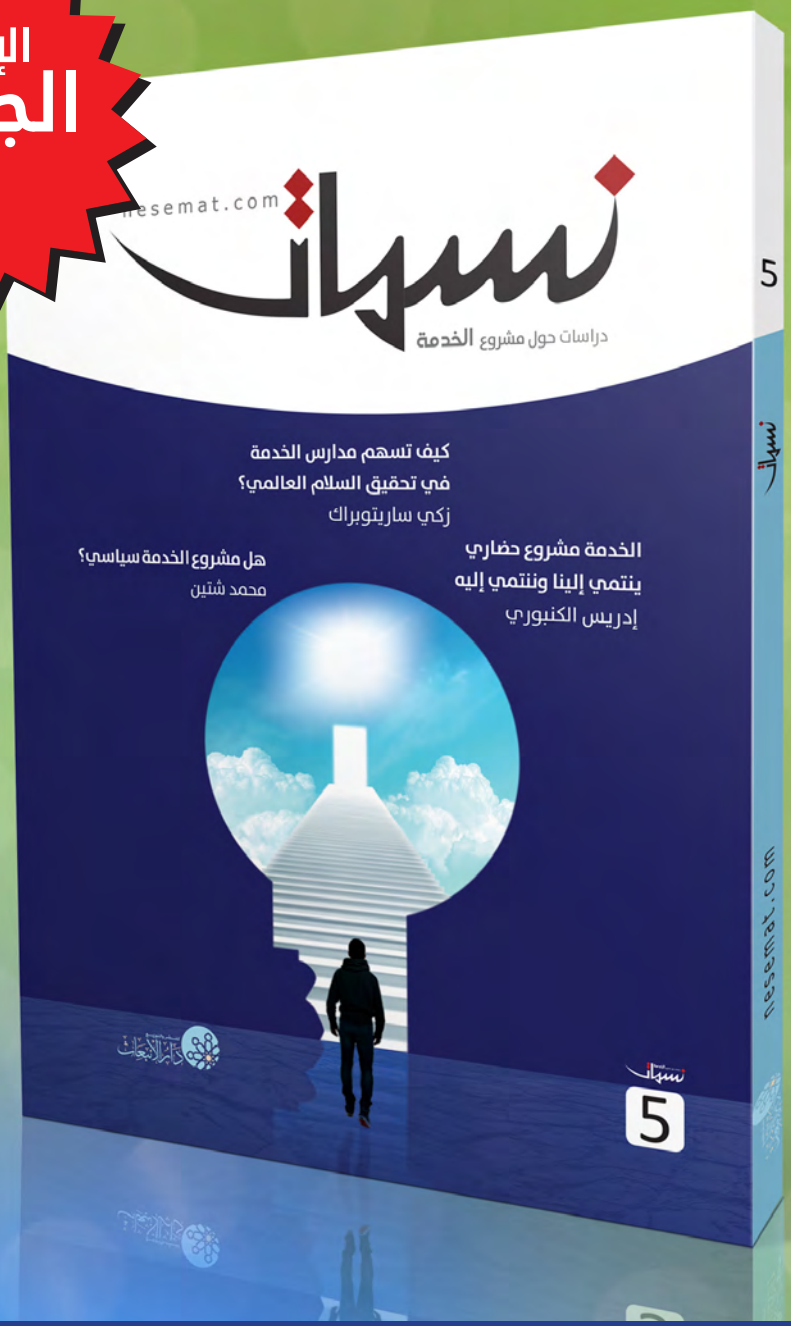

لتحميل العدد بصيغة بي دي إف يمكنكم زيارة موقع:
www.nesemat.com

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002
مركز البيع الإلكتروني: www.souq.com
@daralinbiath | @daralinbiath

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

متاهة النفس

فراغُ الرأس أُغْرِق في هواها
ويلهث عُمْرَه خلف اشتهاها
هي الآمال تلهو كلَّ حينٍ
كما الصفصافُ تَبْرُز في بهاها
وتلتقطُ الإشارات الحَيارى
من الموجات وَصْلاً لا تراها
فلا بالأول اتصلتْ، ولا بالآخر
اكتملتْ، وتاهتْ في نَواها

***

ISSN 2357-0229 66
9 772357 022004
www.hiragate.com